رسائل

السعيد الشوادفي

لا تتعجلي الرحيل

لا تتعجلي الرحيل | رسائل | سعيد الشوادفي | دار لوتس للنشر الحر

لا تتعجلي الرحيل
رسائل
سعيد الشوادفي

إصدار: مارس ٢٠١٨
رقم الإيداع
2017/26652
الرقم / العام

الغلاف والإخراج الفني:
لوتس للنشر الحر
مشروع النشر الحر
رقم الإصدار: (٦١)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية طريقة دون موافقة المؤلف أو دار النشر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر

منشورات دار لوتس للنشر الحر
شركة لوتس للإنتاج والتوزيع
القاهرة الكبرى:
١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل بجوار محطة مترو فيصل
هاتف: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ – ٠١١١٦٣٨٩٣٤٧
الإسكندرية:
٦ شارع بن دينار – محرم بك – امبروزو
هاتف: ٠١٠٦٨٦٣٨٣٧٧
المغرب: الدار البيضاء
٢٧٠ زنقة ١٦ – حي البركة – مولاي رشيد
هاتف: ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

مشروع النشر الحر
أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

للتواصل مع الدار والمشروع
هاتف / واتس آب:
+2 01116389347 - +2 01091985809
الموقع الإلكتروني:
www.lotusfreepub.com
البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com
حساب فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub1
صفحة فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub

إهداء

إلى الحب والحنان

إلى معنى الوفاء والأمل

إلى الماضي والحاضر والمستقبل

إلى الغد الجميل

إليكِ سيدتي اكتب أولىَ كلماتي

وأهب لكِ شوقي وحنيني

واشكوا لكِ من لوعة الفراق

اشكوا لكِ الحرمان والوحدة

فإليكِ يا نهر الحنان أكتب

لكِ وحدك يا أمي

أريج الحياة

عزيزي القارئ
كلمة منك تسعدني
و تدعمني

هذه النسخة هدية من
الكاتب وليست مخصصة
للبيع أو المكاسب المادية

سعيد الشوارفي

مُقَدِّمَة

أعزائي

هذه القصة كتبتها بعد تفكير طويل ومعاناة لا أستطيع أن أصفها لكم وحرصاً مني على أن أحافظ على المصداقية في الحوار والأحداث رغم أنني حاولت الاختصار الذي لا يضعفها ويبقيها قوية حتى تصل إليكم جميعاً كما أريد. وأدعوا الله أن تنال إعجابكم

فقد كتبتها لروح أمي الحبيبة الغالية

أريج الحياة

المؤلف

سعيد الشوادفي

أريج الحياة

ذات يوم جلست وحيد. سارح العينان. متهالك الجوارح فألقيت جسدي النحيل فوق التراب كي يستريح وقبل أن يداعب النوم عيناي تساقط الدمع فوق خدي الشاحب اللون..

وجدت ذكرى الماضي تراودني، وحلم السنين يناديني فاعتدلت من مرقدي وجلست أسامره، بدأت أحدثه ويحدثني، قلت له:

قل لي أيها الحلم الجميل، ما هي الحياة؟

وما هو الموت؟

ولم أستطيع إكمال الحديث. فوجدته ينظر لي مبتسماً. ثم أردف إلى قائلاً:

هل تستطيع العودة إلى الماضي البعيد؟

فأجبته بسرعة قائلاً:

نعم.

وكأني أريد أن أصبح طفلاً رضيع بين ذراعي أمي أتجرع من

حنايا صدرها، اقتبس الدفء من بين أحضانها، استشعر الحنان والطمأنينة بلمسة من أطرافها الدافئة قلت له:

نعم أستطيع!

فقال لي وابتسامته ما زالت تملأ وجهه المنير

إذن عُد وابدأ. فوجدت نفسي أطلق تنهيدة تصحبها دموع غزيرة، ثم أردفت إليه قائلاً:

هذه يا حلم البداية!

منذ زمن بعيد، ولد رجل وحيداً ترعرع بين أحضان أمه وبعد أن ودع سن الشباب..

قرر أن يودع معه بلدته التي ضاقت عليه، أخذ أمه وبدأ المسير إلى أن استقر بقرية صغيرة، وبعد رحلة طويلة أصبح يمتلك قطعة أرض ومسكن صغير، وبدأت الأم تحدثه عن الزواج والأطفال، ولم تمل الحديث يوماً، ولم يجد هو حلاً آخر كي يستريح من كثرة حديث أمه عن الزواج سوى أن يفعلها، فجلس ذات يوم بين أقدام أمه.

فبدأت تداعب بأناملها النحيلة شعرة المجعد وبعد برهة همس لها قائلاً:

أمي. هل لديك عروسة لي؟

فأطلقت الأم زغاريد جعلته يعتدل من بين أقدامها وهو يرتعش، نظر إليها قائلاً:

ما هذا يا أمي؟

فابتسمت الأم قائلة:

نعم يا بني لدي العروس..

غداً إن شاء الله نذهب إليهم وكأنها قد أعدت كل شيء..

مرت الأيام وتزوج عبد العزيز ولكنه رغم السنين التي مرت لم ينجب أطفال وبدأ بريق الأمل ينطفئ في عيني أمه فقرر أن ينفصل عن زوجته ويجرب حظه مرة أخرى مع امرأة غيرها.

وما هو قد كان وتم الانفصال، وبعد أن اقترب العام من الانتهاء وهو مازال وحيداً، بدأت الأم تشفق علية من الوحدة. لكنها لا تدري ماذا تفعل من أجله!

لا تدري أي درب تسلكه كي تخرجه من وحدته، فإذا به ذات يوم يخبرها بأنه يريد الزواج وبدأت السعادة تملأ وجهها من جديد.

بدأ الأمل يدق ويملأ قلبها، فسألته بنعومة الأمومة ورقتها.. من هي العروس يا قرة عيني فكانت المفاجأة عندما نطق اسمها.

فنظرت إليه ثم أردفت قائلة:

أحسنت الاختيار يا بني، وفي المساء ذهبت الأم إلى أهل العروس تطلب يدها وهي تظهر لهم كل معاني الحب والتقدير. بعد أيام قليلة تمت الخطبة ثم تلاها الزواج، وكانت الزوجة ما زالت في سن الصبي. وقبل أن ينقضي العام أنجبت أول مولود. بل أنجبت أول توأم ليملأ البيت سعادة وفرح، ولكن السعادة لم تدوم طويلاً.

فقد مات التوأم الجميل مات الطفلان سوياً، وبدأ الذبول يملأ وجه الأم الشابة، وبدأ الرجل وأمه العجوز يهونان عليها.

وأخيراً بدأت الحياة تسير مرة أخري، وأنجبت الزوجة من الأطفال ست ذكراناً وإناث، وامتلأ البيت سعادة من جديد..

ولكن القدر يأبى أن يظل هذا البيت سعيداً فبدأ يرسل إليهم رسول التعاسة والشقاء.

بدأ الزوج يمرض ثم يُشفى. ثم مرض مرض شديد دام أعوام طويلة، وذات ليلة استيقظت الزوجة على صوت أخويها وهما يلقنان زوجها الشهادة. ويهمهم آخر قائلاً:

إن لله وإن إليه راجعون. فدخلت الأم حجرة الصغار والدمع يتساقط فوق خديها تحتضنهم واحد بعد الآخر إلى أن استيقظت ابنتها الكبرى ونظرت إلى وجهها الذابل وعينيها الدامعتين.

سألتها بصوت متقطع والدمع الغزير يسيل فوق خديها. همهمت قائلة:

هل مات والدي؟

فأومأت الأم إليها برأسها وهي لا تستطيع الحديث ثم أردفت إليها بعد لحظة قائلة:

لا تتكلمي يا ابنتي ودعي إخوتك نائمون حتى الصباح، كنت وقتها لا أتجاوز السادسة من عمري. وصغيرنا مازال في المهد رضيع. وفجأة أصبحت الأم المسكينة الصغيرة صاحبة الجسد الضعيف تحمل على عاتقها حملاً تنوء به أولي العصبة، تحمل هموم ستة أبناء، وأم زوجها التي قاربت من الخمسون عام وذات يوم.

جلست وحيدة في أحد أركان المنزل الذي يحمل بين أحشائه أجمل ذكريات السنين، أخذت تفكر في المستقبل المجهول والمصير المحتوم، تسأل نفسها قائلة:

كيف أعبر بأبنائي بحر الحياة؟

كيف أصل بهم إلى شاطئ النجاة؟

كيف أدافع عنهم كما تدافع القطة عن أبنائها الصغار، وبعد شقاء وعناء، لم تجد سوى أنها تدير تجارة زوجها الشاب الذي رحل وتركها حائرة ضعيفة، وفجأة وجدت نفسها تمزق ثوب النساء من فوق جسدها النحيف.

تمزقه بكل عنف وقسوة. ثم ارتدت عباءة الرجال، أصبحت تنام

الليالي فوق أرصفة الطرقات البعيدة، غطائها السماء ومضجعها جوال من الخيش الرمادي الخشن..

مرت الأيام والسنون وازدادت الأعباء وتثاقلت الأحمال فقد اقتربت ابنتها الكبرى التي تعاونها في التجارة من سن الزواج، وبدأ الخطاب يطرقون عليهم الأبواب ولكن الابنة ترفض وتأبىَ أن تترك أمها وحيدة ترفض أن تتزوج وأشقائها صغار ما زالوا يحتاجون إلى رعايتها أثناء غياب الأم الحبيبة.

مرت الأيام رغم قسوتها ومرارتها، أصبحت الابنة الثانية في الصف الثالث الثانوي الصناعي والابن الذي يليها في الصف الأول الثانوي أما أنا فأصبحت في الصف الثاني الإعدادي والشقيقة التي تليني فهي في الصف السادس من أول مراحل التعليم الأساسي..

والشقيق الأصغر أصبح في الصف الثالث الابتدائي، بدأت الأيام تمر وتأخذ كل ما هو غالي ونفيس ماتت الجدة بعد زواج شقيقتي التي حصلت على الدبلوم الفني الصناعي بعام او يزيد عنه بقليل، عاد الحزن يسكن بيتنا الصغر من جديد.

نعم سكن الحزن بيتنا بعد رحيل الجدة الغالية. فهي كانت الزهرة التي تنثر عطرها حولنا منذ رحيل والدي كانت العطر الذي يذكرنا دائماً بوالدنا الحبيب فنحن عرفناه من واقع الحكايات التي كانت تقصها على مسامعنا ليل نهار..

ولكن الحياة تمر والعمر يتوارىَ بين طيات الزمن بدأ المرض يتلاعب بسر الحياة وأريجها بدأ يمتلك الروح التي نستمد منها الحياة، وبعد فترة استطعنا التغلب عليه، وبدأت الأم الحبيبة تستعيد صحتها وتبدل الحزن إلى سعادة، ملأ السرور والرضا بيتنا أعوام وأعوام. فقد تزوجت شقيقنا الكبرى.

وبعدها تزوجت أصغر شقيقاتي ثم تزوج أخي الأكبر وأنجب الطفل الذي حمل اسم جدة الراحل حمل الاسم الذي أطلقته عليه جدته وقرة أعيننا جميعاً، وذات يوم من أيام الصيام تحديداً قبل الإفطار بلحظات بدأت الحبيبة تشكو الأوجاع بجوفها، الكل يجري لإحضار الأطباء.

الكل أجمع أنها بخير ولكننا لم نصدق فذهبنا إلى طبيب آخر أجري لها كل الفحوصات والتحاليل وأكد لنا أنها بخير.

جعلني أصدق أنها حقاً بخير. جعلني أنشغل عنها بعض الوقت، جعلني أترك مجلسي تحت أقدامها لحظات، وذات يوم قبل الإفطار بدقائق دخلت حجرتها كي أداعبها وأقبل يدها حتى تستيقظ من نومها وتأتى معي إلى مائدة الإفطار ولكنني وجدتها وكأنها بصحبة الحبيب. وجدتها وكأنها في رحاب الله برفقة النبيين والصديقين والشهداء.. فناديت عليها بصوت غليظ أمي. فإذا بها تنظر نحوي والابتسامة تملأ وجهها الأبيض الجميل اقتربت منها. قبلت يدها. لا. بل قبلت كل أجزاء جسدها فإذا بها تقول:

اذهب وتناول الإفطار بصحبة إخوتك فمازال الوقت باقي، لكنني لم أفهم تلك العبارة، لا. بل رفض العقل أن يصدق أن هذا اليوم هو..

ولكن؟

كان شقيقي الأكبر أكثر مني فطنة وذكاء. فقد اتصل على شقيقاتي وأحضرهم بدعوى الإفطار معنا، خرجت من غرفتها وجلست بصحبة أشقائي الثلاثة فقد كان من بيننا اثنين غائبين تفصل بيننا مسافات وحدود.

جلسنا سوياً على مائدة الإفطار، ولكننا لم نأكل شيء، فقد ملأ الدمع عيناي دخلت غرفتي مسرعاً وانهمر الدمع الغزير فوق خدي.. وبعد برهة دخلت غرفة أمي الحبيبة فوجدها تتصبب عرقاً من فوق الجبين. فخرجت مسرعاً وأحضرت لها الطبيب ولكن؟ دون جدوى فقد حان الفراق والوداع الأخير فبعد آذان العشاء بدقائق ودعت الحبيبة الغالية الدنيا أمام أعيننا. ماتت الحبيبة ولم يعد للدنيا أريج فهي كانت وما زالت وستبقى إلى الأبد. أريج الحياة

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا(١)

---

(١) **سورة الإسراء ٢٤**

إني أحبك

الأيام تمر. يوماً تلو آخر. شهر بعده شهور. عاماً يليه أعوام. ألوم نفسي. أحدث قلبي. يا قلبي ترانا هل سننتهي؟

هل سننسى ما كان وانقضى؟

يا قلبي هيا عود إلي. عود إلى بالأمل الجديد. ابسط لي يديك كي نداوي الجروح بيننا، وفجأة استفاق قلبي من غفوته. نظر إلي معاتباً. والدموع بعينيه. ثم حدثني وهو يزجرني قائلاً:

ويحك صاحبي هل نسيتها؟

هل مات بداخلك حبها؟

فتلعثمت شفاهي. وتاهت كلماتي.

وتبعثرت بين أحشائي نبضاتي. كيف يموت بداخلي حبها وهواها؟ وهنا جرت كلمتان على لساني.

ـــ إني أحبك

أخاطبك وكأنك أمامي بل أخاطبك بداخلي. نعم أخاطبك بداخلي. وكيف لا وأنتِ دمي ودقات فؤادي! كيف لا. وأنتِ الداء والدواء؟

كيف لا وأنتِ الحنين والوفاء؟ كيف لا. وأنتِ الأرض والسماء؟

أخاطبك بداخلي. أصرخ. إني أحبك أصرخ وأنا أعلم أنك تسمعين صراخي. بل تسمعين همساتِ فانتِ بداخلي. أنتِ الفؤاد عندما يحب ويشتاق. أنتِ الحنين عندما يدب بيننا الفراق. آه الفراق، ولكن هل افترقنا؟

هل توارينا ولن نعاود يوماً للحنين؟

هل سنحيا باليأس دوماً والأنين؟

ترى هل أنتِ ذنبي الذي يجب أن أتوب وأستبرئ منه قبل أن أموت. ترى هل أنتِ خطيئتي التي أخطأتها منذ أعوام كثيرة؟

فإن كنا قد افترقنا وكنتي هذا وذاك فإني أحبك! نعم أحبك رغم المسافات بيننا أحبك رغم الحدود المرسومة أمامنا أحبك رغم الدموع والألم آه عندما دب الألم في قلبي ونخرة عظامي.

وجدت نفسي البائسة تدفعني نحو الهلاك تحدثني بحديث الشيطان قائلة:

ماذا يبقى لك في دنيا باع الحبيب فيها حبيبه ترى هل يبقى لك فيها إلا الجراح الخداع. الألم. اليأس والضياع!

وبدأت أسير خلفها دون إرادتي دون بصيرة أو وعي أكلمها. نعم يا نفسي لم يبقى لي شيء غير هذا، وهنا دار الصراع بين نفسي

وقلبي.

قلبي الذي مازال يهواك. قلبي الذي مازال يهفوا لذكراك. يحدثني قلبي قائلاً:

لا. لن أدعك تمشي خلفها

لن أدعها تهلكك. لن أدعها تهلكك فنظرت بعيني الدامعتان. وجدت أمامي طريقان طريق منير كالصبح الجميل والثاني مظلم..

مظلم كظلام الليل الذي خاصمه القمر والنجوم وبدأت نفسي تسيطر على أقدامي. جعلتها تخطوا خطوات نحو الشر والهلاك، وهنا سمعت صوتك يناديني. يخاطبني. يهمس في أذني قائلاً:

أيها الحبيب الذي مازال يسكن وجداني.

ــ إني أحبك.

أيها الحبيب الذي يسكن عقلي وقلبي وكل كياني. ــ إني أحبك

إني أحبك.. فتمهل. نعم تمهل، تمهل أيها الحبيب وعود إليَ فارساً رافعاً راية الحب عالياً، عود إلي. عاشقاً. عطوفاً. حنون..

ألتفت يميناً ويساراً أبحث عنك. أناديك يا حباً مازال في القلب باقي. أين أنتِ. إني أحبك.

ــ إني أحبك...

وفجأة! وجدتك تقتربين مني ويداك ممدودتان نحوي تأخذان يداي المرتعشتان بينهما.

بدأت أمشي بجوارِكِ دون أن أنبث بكلمة واحدة. أنظر إليك. أتأمل وجهك الباسم رغم الحزن الساكن فيه، أتأمل عيناك الدامعتان رغم البسمة أصرخ. وأصرخ. إني أحبك.

ولكن؟ لم يسمع صراخي إلا أنتِ وبدأت أشعر برعشة وقشعريرة بداخلي اقتربنا من بشر لم أرى جمالهم من قبل. وجوههم كالقمر المنير..

وقفنا بالقرب منهم

ثم أشرتِ بإحدى يديك نحوهم قائلة:

هنا تجدني!

بشهادة لا إله إلا الله. محمد رسول الله

بالصلوات الخمس المكتوبات. بالزكاة وصوم رمضان

بحج البيت إن استطعت إليه سبيلا...

نعم هنا تجدني. بفعل الخيرات سنلتقي إن شاء الله

في رحاب الله. في الجنات المعروشات.

ثم تواريتِ شيء فشيء، وكأنك شعاع نور ذاب في الفضاء البعيد،

وهنا صرخت قائلاً:

لا ترحلي. لا ترحلي عني.

آه. أهذا حلم!؟

إنه حلم. لا. بل حقيقة. نعم حقيقة..

الحقيقة الوحيدة في حياتي وسمعت صوتاً يأتي من بعيد، إنه صوتك أنتِ. نعم أنتِ سمعت همساتك. تنهداتك. كلماتك. تذكر. نعم تذكر دوماً حبيبي. ــ إني أحبك. إني أحبك!

وبدأت شفتاي تهمس باسمك.. تهمهم قائلة:

ـ إني أحبك!

وفجأة سمعت آذان الفجر يشق الظلام ويأتي إليَ وكأني أسمعه لأول مرة!

فتوضأت وذهبت إلى المسجد أصلي. وبعد الصلاة. جلست أردد أذكار الصباح. وجلست حتى صليت الضحى فشعرت براحة وطمأنينة ملأت قلبي وروحي.

وفي الجنة إن شاء الله موعدنا..

الاعتراف الأخير

أشياء كثيرة تبعثرت هباء، وأشياء كثيرة لم أعد أملكها ولكن؟

هل ما زلت أملك قلبي وأحاسيسي؟

هل ما زلت أملك مشاعري؟

هل ما زلت أملك قلمي وأوراقي البيضاء؟

آه. ترى هل ما زالت بيضاء؟

أم تلونت بلون غامق كئيب!؟

لا أدري. حقاً أنا لا أدري، ولكن.

سوف أقولها، لا. لا كيف أقولها؟

كيف أكتبها ليقرأها كل العالم؟

نعم كيف أقول أننا. آه. أننا. آه كيف أقوى وأنتصر على مشاعري ويدي. كيف أجعل لساني وشفتاي يقولان شيء إلى الآن مازال دفين بين دقات فؤادي، آه. سوف أقولها رغم الحزن الساكن في قلب قلبي، نعم سوف أقولها رغم الحرارة التي تملأ فمي

أننا. آه. أننا. قد افترقنا. قد افترقنا. افترقنا رغم الحنين الساكن في

قلبي وقلبك، افترقنا في لحظة لم نعد نذكرها

لحظة تلاشت بين أحشاء الزمن، افترقنا وبداخلي اعترافات كثيرة اعترافات لم تسمعيها ولم يسمعها أحداً سواك.

نعم افترقنا وقد تحطمت كل الأماني بيننا ولكن؟ هل تستطيعين سماعي؟

هل ترحمي القلب الذي يهفوا دائما لرؤياك، حبيبتي. نعم فانتِ إلى الآن ما زلتِ حبيبتي..

فهذا هو الاعتراف الأخير، فانتِ القلب النابض بالأشواق، أنتِ الأحاسيس والمشاعر الدافئة، أنتِ الدم الذي يجري في العروق والشرايين، أنتِ كل كياني. لا. بل أنتِ الحياة

آه. كيف الحياة بدون وجودك وأنتِ سر الحياة! كيف الحياة يا خنجر في القلب مازال يؤلمني.

نعم فانتِ الخنجر الذي قتلني به أعدائي، أنتِ الخنجر الذي أعشقه وأهواه، أنتِ الجرح الذي أحبه. نعم أحبه؟ أحبك رغم القسوة والجحود، أحبك رغم القوة والجبروت، فإن كنتِ الخنجر القاتل والجرح الغائر. فانتِ الطبيب. أنتِ الدواء الذي يشفيني.

حبيبتي.

إن كانت حياتي قد انتهت بفراقك وبعدك عني نعم يا كل عمري

وذاتي، يا كل لحظات الهوى إن كانت حياتي قد انتهت..

وتفانت في الرياح. فحياتك أنتِ باقية خالدة، حياتك أنتِ امتداد لحياتي. حياتك أنتِ هي الخلود لذكراي فعديني أن تحافظي على كل دقة ينبض بها الفؤاد!

واصغي إليها. اصغي إليها جيداً، لملمي همساتها تجدينها تنطق اسمي، وعندما تجلسين وحدك راقبي نظراتك. راقبي الحركات. الهمسات. السكنات، تجديني. فأنا وأنتِ جسدان بقلب واحد!

حبيبتي. نعم أنتِ حبيبتي، عندما تجلسين وعيناك ناظرتان إلى السماء، تذكري دوماً أنني قد شبهتك

بالقمر البازغ في كبد السماء، وتذكري أنني أحبك بعدد غيمات السُحب، وعندما تداعب وجنتيك نسمة صيف ندية

تذكري دوماً كم كنت أغار منها إن لامسة شفتاكِ وداعبت خصلات شعرك الجميل. حبيبتي. اذكري لي كم كنت أحبك

وما زلت أحبك. وسأظل أحبك، فأنا على الوعد والعهد الذي أقست به يوماً أمامك.

هل ما زلتِ تذكريه. إن لم تكوني أنتِ فلن تكون غيرك. نعم لن تكون غيرك لي حبيبة

فأنا كالأموات ببعدك عني، ولكنني أحيا على أمل أن تعودي يوماً

إليَ، فأنا ما زلت أتمسك بك وأهواك، ما زلت أرفض أن تدخل امرأة غيرك حياتي، نعم حبيبتي. فأنا أرفض أن أصبح يوماً ظالم، أرفض أن أحيا معها بلا قلب. أرفض أن أحيا بلا أحاسيس أو مشاعر، نعم أرفض أن أتزوج وأحيا معها جسداً بلا قلب ولا روح فقلبي معك أنتِ. ملكك أنتِ

وها هو الاعتراف الأخير، سأحيَ معك دائماً. إلى الأبد.. سأحيَ على ذكرى الماضي الجميل، سأظل معكِ. لن أفارقكِ لحظة واحدة ولن أدعكِ ترحلين لن أدعكِ تبتعدين عني!

فانتِ أجمل شيء قد منة به الحياة يوما عليَ، فكم أختلي بكِ تحت سماء صافية دافئة لا تظلل غيرنا. وقمراً لا ينير لغيرنا، ونجوم لم تخرج يوماً إلا لنا. أنا وأنتِ آه. كم أحبك وأشتاق إليك.

نعم أشتاق إليكِ رغم أنكِ معي بداخلي في قلب قلبي، أنتِ الماضي. أنتِ الحاضر والمستقبل، أنتِ كل كياني..

نعم أنتِ كل ذاتي منذ أن وجدتك أمامي يوماً، يوم أن أيقظتني من نومي وكنتي ما زلتِ صغيرة ولكنني نظرت إليكِ بعين المحب العاشق، كنتِ ابنة الخامسة عشر عاماً.

ولكنني سبقت الأيام والسنون والأعوام نظرت إليك بعين المستقبل، وكانت معك فتاة غيرك. لكنني لم أراها، لم أشعر بوجودها بيننا.

آه. عندما امتددت يدي لتأخذ يدك بين أحضانها، آه. عندما

أمسكت يدك بيدي..

ونظرت بعيني الذابلتان إلى عينيكِ التي اخترقت ضلوعي، شعرت حينها أن شيء بداخلي قد تغير شعرت بأن قلبي قد اجتث مني.

نعم حبيبتي إحساس لم أعشه من قبل، فقد تبدل قلبي الفارغ.

تبدل قلبي الذي كان يهوى ويعشق من يشاء، نعم لقد جذبتي القلب البائس مني وألقيته بعيدا بعيد.. ووضعتي بدلاً منه قلب مليء بالحب والغرام والوفاء، آه. حب. غرام. وفاء

إنه حبكِ أنتِ. غرامكِ أنتِ. وفاء لكِ أنتِ نعم لكِ وحدك

وكيف لا وهو قلبكِ أنتِ، حبيبتي. بل نفسي وذاتي لقد علمتني أشياء كثيرة. علمتني معنى الحب علمتني معنى التسامح والوفاء.

علمتني معنى العطاء الدائم، نعم علمتني كل هذا. بل أكثر وأكثر. علمتني كيف أحب إلى الأبد، أحبك أنتِ. نعم أنتِ، وحدك. نعم وحدك. وكيف لا، فيا كل العمر عيشي واسعدي أما أنا. فحياتي دونك مستحيلة

نعم مستحيلة. مستحيلة، ولكن سوف أحاول أن أجعل نفسي ترضى بصورتك.

صورتك التي وضعتها بداخلي أختلي بها كل ليلة، احكي لها شوقي وحبي وحنيني وغرامي لكِ.

وعندما تبتسمين. أغمض عيناي وهي تحتضنك بين الجفون

وهكذا كل ليلة. فلا تحزني على الفراق، ولا تدمعي دمعة واحدة فانتي تعلمين أن دموعك عندي أغلى من الحياة!

وتذكري لحظات الغروب، وانظري إلى الشمس حين المغيب.

انظري. انظري إليها جيداً ففي تلك اللحظة ستشعرين بوجودي، فأنا إلى الآن أراكِ قمراً بازغاً منيراً بجوار قرص الشمس الأرجواني الجميل، وفي الشتاء حينما يتساقط المطر، انظري إلى الأرض، راقبي فرحتها بالماء المنهمر

وتذكري أنني أحبك أكثر من قطرات المطر المتساقط من السماء، نعم أحبك أنتِ. كما أنتِ..

ليلتي الأخيرة

عيناي تدمع وقلبي يرتعد بداخلي آه. يداي ترتعشان وشفتاي تهمسان، إنه بيتي. إنها حجرتي وهذا سريري كم نمت عليه وعيني ناظرتان في سقف الحجرة كم حلمت عليه أحلاماً سعيدة، حلمت بمن أحبه وأهواه، آه. إنه بيتي. إنه ملكي أنا

إنه بيت طفولتي. وذكرياتي وحبي:

آه. حبي الساكن في قلب قلبي، حبي الذي أتجرعه حتى الثمالة، نعم هو بيت ذكرياتي الجميلة وحبي الأبدي، آه. كم نظرت من شرفته أترقب الناس وأتابع خطاهم بعيني اللامعتان، كم جلست في هذه البلكونة الفسيحة أحاوره، وكنت أحدث ربي وأدعوه أن يرعاني ويرعاه..

آه. كم كنت أخشى هذا اليوم الكئيب المظلم، يوماً تتمناه كل الفتيات إلا أنا، لا بل كنت أتمناه مع رجلاً واحداً، رجلاً أحببته بكل دقة في قلبي، أحببته بكل قطرة دم في جسدي، أحببته بكل دمعة في عيني، رجلاً أحببته بكل أحاسيسي ومشاعري، أحببته بكل جوارحي. نعم أحببته وما زلت أحبه رغم أنني لست له، بل أصبحت لرجلاً غيره، أصبحت ملك رجلاً دفع ثمني لأهلي.!

نعم. فأنا الآن أشعر بأنني سلعة تباع وتشترىَ:

سلعة رخيصة مهما ارتفع ثمنها، ثمنها الذي حدده أهلي دون حساب لقلبي ومشاعري ولكن؟

أين كنت أنا؟ لماذا لم أصرخ؟ لماذا لم أرفض؟ لماذا لم أهرب من كل هذا العذاب؟

لماذا استسلمت لضعفي؟

لماذا لم أختار أنا حياتي؟ آه. فهل مازال لي حياه!!

فإنها ليلتي الأخيرة، نعم هي الأخيرة. هي الأخيرة، ولكنني أتوق لرؤياه، نعم أتوق لرؤياك أنت، نعم أنت حبيبي! أنت قلبي وروحي، بل أنت عمري، فأنا في وسط هذا الجمع الهائل من البشر والزغاريد والأغاني والأنوار، عيناي حائرتان تبحثان عنك في كل مكان، ولكنني لم أجدك؟

لم أجدك.. آه. كنت أتمنىَ أن أراك. كنت أتمنى أن أحتضنك بين جفون عيناي الذابلتان، كنت أتمنى أن أراك في ليلتي الأخيرة، نعم كنت أتمنى أن أراك كي أستمد منك الحياة، كنت أتمنى أن أراك كي أسبح بين شطآن عينيك، آه حبيبي. لماذا لم تحضر لرؤيتي؟ لماذا لم تأتي كي تأخذني بين حنايا قلبك المليء بالحب والشوق والوفاء إليَ، حبيبي لا تحزن ولا تأسف يوماً على فراقي، فأنا غداً سأصبح بين زراعي رجلاً يدعونه زوجي! سأصبح بين ذراعيه جسداً بلا قلب، سأنام في مخدعه جسداً بارداً بلا روح.

فقلبي لك أنت. وروحي معك أنت وهذا البيت لم يعد من الآن بيتي.

ولكنه يحمل بين أطلاله ذكريات حبي لك

فهذه ليلتي الأخيرة التي سوف أقضيها بداخله، فدعني أراك لآخر مرة، دعني أسبح في أعماق ذاتك الطاهرة النقية دعني أشبع عيني بصورتك المحفورة بداخلي!

دعني أراك قبل أن أذهب إلى الجحيم!

الجحيم الذي يسوقونني إليه، دعني أراك يا من تملك قلبي وروحي وعقلي وأحاسيسي ومشاعري التي لم تشعر يوماً بسواك، دعني أراك قبل أن أدخل السجن الذي سوف أموت بين قضبانه المقدسة، نعم سوف أموت بين أسواره الشائكة..

وهل هناك موت بعد أن تغيب أنت عني

هل هناك موت بعد أن ساقاني أبواي إلى الهاوية؟

حبيبي.

آه. أشعر أنني خائنة. نعم خائنة أفكر فيك. أحبك. رغم أنني الآن ملك غيرك، فل أكن خائنة!

فل أكن خائنة، فهل هناك خيانة أكثر بشاعة مما فعلاها أبي

وأمي الأعزاء؟ أو ليست خيانة؟

حبيبي.

اذكرني كلما مررت من أمام بيتي

نعم بيتي. بيتي الذي شهد طفولتي. وشبابي وذكرياتي وحبي، حبي لك أنت؟ اذكرني عندما ترفع عيناك إلى السماء، اذكرني عندما تنظر عيناك إلى شرفة حجرتي. اذكرني إن هفت عيناك للنظر إلى المكان الذي شهد آخر لقاء بيننا، اذكرني مثلما أذكرك!

نعم أذكرك، أذكر عيناك التي تتسع لي وكأنها عالم لا آخر له أذكر قلبك الشغوف العاشق، قلبك المحب، حبيبي.

اذكرني دوماً ولا تدع النسيان ينسبك حبي.

اذكرني وبلغ أبي وأمي أسفي وألمي. بلغهما ما كنت أريد قوله لهما، ولكن منعني.. منعني...

آه. ترى ماذا منعني؟ هل منعني خوفي عليهما؟

أو خوفي منهما؟ هل منعني ضعفي؟

أم منعني حبي إليهما؟

هل بقي من حبي لك حباً لهما؟

ولماذا لم يمنعهم حبهما لي مما ساقاني إليه؟

لماذا لم يمنعهم مما دفعوني إليه؟

قُل لهما قد خاب البيع وخسر!

قُل لهما ليست السعادة بكثرة الأموال! قُل لهما ليست السعادة بأن أكون لرجلاً لا مكان له في قلبي، قُل لهما ليست السعادة بأن أكون له جسداً بارداً بلا قلب ولا روح..

ليست السعادة بأن أحيا بلا أمل أعيش من أجله

نعم قل لهما بأنهما قتلاني بأيديهما، نعم قتلاني وألقياني في هذا العذاب المحرق القاتل.

هما من أصدرا الحكم بأن أعيش ما بقي لي من العمر داخل هذه الأسوار الشائكة اللعينة؟

وأعلم حبيبي. أننا افترقنا في هذه الليلة المظلمة رغم الأنوار المعلقة والزينات الكثيرة. افترقنا في هذه الليلة الكئيبة رغم الزغاريد، وكلمات التهاني. لا بل كلمات العزاء؟ فهل من هن مثلي يهنؤن؟

هل يهنئ المرء على العذاب الذي سوف يصبح فيه؟ حبيبي اعلم أننا افترقنا كي نولد من جديد. نولد في عالم لا تحكمه المادة، نولد في عالم بلا دموع، افترقنا كي نولد في عالم بلا ذنوب..

عالم بلا خطيئة أو ألم، والآن حبيبي. ها أنا أرنوا بعيني الدامعتان إلى السماء، أتجه بقلبي إلى الله. أدعوه أترجاه.

اللهم يا خالق الأرض والسماء يا مجيب الدعاء، اللهم يا علام الغيوب وغفار الذنوب، يا ستير العيوب، إنني متجهةً إليك بقلبي في ليلتي الأخيرة كي أدعوك وأرجوك. أن تغفر له وترعاه وتبارك خطاه فأنت سبحانك تعرفه دون أن أذكر لك اسمه، اللهم احفظني وإياه واعصمنا من الرذيلة والخطيئة.

هي الحياة

آه. ماذا أقول الآن بعد أن ضاع العمر وضاعت معه الحياة. فأنا أشعر بأنني أحتضر وألملم أنفاسي الأخيرة نعم أشعر أنها سقرات الموت.

آه. أشعر برغبة في البكاء الشديد، بل أشعر أنني في أشد الحاجة إلى صدر أمي الحنون. آه. هل نسيت أنها؟ العين تدمع والقلب يحزن حينما يحاول لساني النطق بها، فلن أقولها. نعم لن أقولها، فأنا الآن في أشد الحاجة إليها.

نعم أحتاج إليها رغم أنني رجل ناضج، ولكنني بدونها طفل رضيع. أحتاج إليك يا أمي. فهل تعودي؟ آه. هل هذا هو الجنون؟

فليكن جنون. فليكن جنون..

فأنا أحتاج إليك كل يوم. بل كل لحظة؟

بل في أشد الحاجة أن أرتمي بين صدرك الدافئ، أرتمي بين حناياك كما كنت أفعل من ذي قبل. أنا في أشد الحاجة أن أبكي بين راحتيك بكاء شديد، نعم يا أمي.

نعم يا عمري فأنا في أشد الحاجة لمن أبكي بين صدرها، فهل

يوجد في الدنيا أحن من صدرك أنتِ؟ صدر ملئ بالحب والحنان والعطف.

آه. فأنا بدونك كالطفل الرضيع الذي ضاع منه الإحساس بالأمان أشعر أنني ضللت الطريق وفقدت الأمل في الحياة.

أشعر بأن روحي تنسحب بعنف وشدة دون رفق أو رحمة. آه. أمي لقد عدتي.

نعم هذه أنتِ، فصورتك الجميلة لم تفارق يوماً خيالي نعم هذه ابتسامتك الصافية الدافئة..

نعم هذه نظرتك المليئة بالعطف والتسامح، نعم هذه أنتِ. هذه أنتِ.

أنتِ أمي حبيبتي. لقد اشتقت إليك، اشتقت إليك منذ أن..؟

لا. لن أقولها. لن أقولها.. ضميني إلى صدرك. جففي الدموع من عيناي الدامعتان، اغمريني بالحب الذي افتقدته منذ زمن بعيد.

ردي إليَ الحياة.

لا تتركيني. خذيني معك، خذيني إلى دنيا بعيدة عن هذا الخداع. خذيني إلى دنيا خالية من الهجر والقسوة. خذيني إلى عالمك. خذيني لأصبح معك نعم خذيني أينما تكونين فقد كرهت هذه الحياة الزائفة الحقيرة.

أمي. لقد رحلت عني حبيبتي. تركتني وحيدا. شريداً. غريباً رحلت بعد أن علمتني كيف أحبها. رحلت قبل أن تعلمني كيف أحيا بدونها، آه. لماذا تبتسمين دون أن تنبثي بكلمة أتُردين السؤال عنها؟

تريدين القول من هي؟

فهي هي. نعم هي يا أمي. أما زلتِ تذكرينها؟ آه. لقد وسعت ابتسامتك وازدادت جمالاً.

إذن فانتِ ما زلتِ تعرفينها. تحفظين ملامح وجهها الصافي البديع. ما زلتِ تذكرين عينيها الجميلتين فكم كلمتك عنها وعن جمالها الفاتن.

كم كلمتك عن حديثها الساحر، وكم كنت أحكي لكِ قصصاً وأحاديث دارت بيننا.

نعم يا أمي. إنها هي حبيبتي، هي دنياي التي اخترتها بيدي. هي من عشقها قلبي وأحبتها كل مشاعري، ولكنها رحلت.

رحلت ورحل معها كل العمر، رحلت ومن ورائها رحلت كل الحياة. نعم رحلت كل الحياة..

وكيف لا؟ وهي كل الحياة التي عشقتُها؟

كيف لا؟ وهي السماء الصافية.

كيف لا؟ وهي القمر المنير في الظلمات

كيف لا؟ وهي الأمل الباقي.

كيف لا؟ وهي الشتاء والصيف سواء.

نعم هي الحدائق المزهرة هي العطر المتناثر في النسمات الندية.

آه يا أمي. كم أحبها. آه يا أمي فالخلاص الوحيد هو الرحيل نعم الرحيل. الرحيل عنها!

ولكن إلى أين؟ إلى أين الرحيل. آه الرحيل عنها.

لا. بل الرحيل إليها، نعم إليها فهي الماضي والحاضر والمستقبل

هي أمسي ويومي وغدي، آه يا أمي العين تدمع والقلب يحزن

وأنا محتاج لكِ اليوم بجانبي. فمن يجفف دموعي الآن غيرك؟

آه. هنا سمعتك تقولين. تهمسين. اسمع حبيبي. إن طال الليل فلابد من طلوع النهار عليه، وإن غاب الهوى فلابد من الحنين إليه. ولكن؟

إن غابت من القلب مشاعرنا وانطفأت شموع الوجد بداخلنا، وتحطمت في الأمواج سواعدنا

كيف نحيا. كيف نحيا فانتبهت. ثم صرخت. أمي إني أسمعها أشعر بها، أتنفس أريج هواها هي معي. بجانبي بل بداخلي آه.

إنها بين جواني.

بين ضلوعي، أمي إني أراها أمامي، دعيني أكلمها فكم اشتهيت الحديث معها منذ زمن بعيد. حبيبتي. بل كل عمري، نعم أنتِ هوائي الذي أتنفسه

دمي الذي ينبض به قلبي، عيناي التي أرى بها كل شيء بديع آه. إنه الجنون. إنه الجنون.

فليكن جنون فأنا مجنونك أنتِ.

متيم بك أنتِ.

نعم بك أنتِ، فانتِ. جنتي وناري ليلي ونهاري، سمائي وقمري الذي ينير حياتي، آه. حياتي فماذا تعني حياتي بدونك؟

إنها أصبحت بلا قيمة. بلا معنى، أصبحت أحيا بلا هدف. بلا طموح فقد مات الطموح بداخلي، وتحطمت أحلامي؟

آه. انتظري يا أمي. دعيني أقولها قبل أن تذهبي مثلما ذهبت حبيبتي وحياتي، دعيني أقولها.

لا بل دعيني أكتبها لعلها تقرئها يوماً أو تشعر بدقات قلبي النابضة فوق السطور.

لعلها تتحسس دمعي فوق الصفحات، نعم حبيبتي لعلك يوماً

تقرئين الكلمات وتشعرين بالآهات المحرقة والهمسات..

لعلك يوماً تشعرين بحبي وشوقي إليك.

لعلك تتيقنين أنكِ أول حب وآخر حب، نعم حبيبتي أنتِ، فحبي ليكِ لا يعرف حدود أو قيود. حبي ليكِ لا يعرف قواعد الزمن، حبي ليكِ حباً أبدي لا ينتهي!

آه. حباً لا ينتهي! ولكـــن؟ ما معنى الانتهاء! كيف ينتهي؟ هل ينتهي بالفراق؟ أم. بالموت!

آه. حبيبتي إن انتهى بهذا أو ذاك.

فكلاهما عندي سواء. فموتي هو فراقك وفراقك هو موتي

نعم فراقك هو موتي ونهايتي، فأنا الآن أتعجل الموت

أنتظره كي أستريح! أستريح من العذاب الدامي المهلك

فإن الحياة بدونك لا قيمة لها ولا معنى.

فانتِ القمة الثمينة الغالية.

أنتِ كل المعاني الجميلة السامية.

أنتِ تاج العفة والنقاء، أنتِ معنى الإخلاص الدائم والوفاء. أنتِ الحب الشامخ كالأهرام.

آه. الدمع يتساقط من عيناي الذابلتان، مدي يدكِ يا أمي جففي الدموع عن خدي افتحي صدرك لي. ضميني إليك، اجعليني أشعر بالأمان الذي افتقدته. لماذا تبتسمين؟

لماذا تقفين؟ أتستعدين للرحيل!؟

آه. انتظري. لا ترحلي، خذيني معك. لا تتركيني

آه. ماذا تقولين؟ لا بني. انتظر.

فمازال أمامك أشياءً وأشياء انتظر وخذ هذه؟ آه.. إنها وردة بيضاء لم أرى مثلها في حياتي!

لا إنها. إنها. إنها الحـــياة.

آه. أمي. أمي حبيبتي لقد رحلتما معاً دون انتظار وما زلت أسمع رنين أصواتكما

هي الحياة.. هي الحياة

لا تتعجلي الرحيل

ذات يوم من أيام الشتاء وكانت الشمس ترسل أشعتها الدافئة من بين أحشاء السحب والغيوم، كان صدري يكتظ ضيق وقلق وقلبي يحترق من النار المؤججة بداخلي، أفكر في شيء أجهله وحب لم أعرفه وصوت أعرفه بل أعشقه وأعشق صاحبته التي لم أراها يوماً.

خرجت مدبراً هارباً من المنزل. هارباً من أعماق ذاتي، هارباً إلى الخلاء الفسيح.

ناظراً بعيني إلى الأفق البعيد، فوجدت أشعة الشمس الدافئة تمتد نحوي بعد أن أرسلتها مياه البحر كي تداعب وجهي الشاحب وعيناي السارحتان، وجدتها تناديني تقودني رغم عني؟ وفجـــأة.

وجدت أقدامي تسير دون إرادتي، وجدت نفسي أقف أمام البحر ومياهه الدافئة اتجهت إلى الصخرة الرمادية اللون ناعمة الملمس وفوق قمتها كان مجلسي، أنظر إلى الأمواج.

أداعبها بحطام الصخر التي حطمته أقدام البشر

ورويداً رويداً بدأت أستسلم دون أن أشعر إلى بحور الخيال. وفجـــأة. حين غفلة مني سمعت صوتاً يحرك وجداني من الأعماق

يملأ قلبي بل يحتويني إلى النخاع يحرك أحاسيسي ومشاعري الساكنة، فانتصبت واقفاً أبحث عنه في كل اتجاه.

أترنح دون شعور. أصرخ. وأصرخ آه. هذا الصوت أعرفه منذ زمن طويل، إنه الصوت الذي أسمعه منذ الطفولة. أسمعه كل ليله.

نعم إنه صوتك أنتِ يا من أحبك منذ أن كنت في المهد رضيع، أحبك بكل دقات الفؤاد وأنفاس الهوىَ، أحبك بكل كلمات الأدباء وأبيات الشعراء، أحبك بكل لغات الطيور وتغريدهم. أحبك أنتِ. نعم أنتِ يا من تقرئين كلماتي بدقات قلبك، أحبك يا من تقبلين كلماتي بشفتيك

وتحتضنيها بجفون عينيكِ، نعم أحبك أنتِ ولكن؟

أين أنتِ الآن مني؟ متى اللقاء؟ فقد مل قلبي الانتظار

وفجأة وجدت صوتي يعلوا. ويعلوا وكأنه البركان

أبحث عنك يا حبي وعشقي وملاذي الوحيد، ولكنني تعبت من البحث دون فائدة فعاودت إلى الصخرة من جديد. وبعد وقت لا أدري كم كان عدد ساعاته سئمت من الجلوس فوق قمة الصخرة فتنحيت عنها غير بعيد.

ألقيت جسدي المثقل فوق الرمال وبقايا الحصى، وأخيراً عجز العقل عن التفكير وسيطر النوم على عيناي وأصبح ملء الجفون..

استسلمت إليه دون مقاومه أو عناء، وأخيراً كان بيننا اللقاء!

أود أن أصفها. ولكن؟ هيهات هيهات فقد عجزت يدي عن الكتابة وتاهت كلماتي بين أحشاء الصفحات، كيف أصفها وعقلي قد ذهب عني؟ كيف أجرؤ حبيبتي أن أصف عيناكِ الزرقاوان

كأمواج البحر، كيف أصف شعرك الطويل طول السنين وليل الشتاء الموحش.

كيف أصف لونه الداكن كالليل عندما يشتد به الظلام، كيف أصف وجهك المستدير المشع بالضياء وكأنه القمر البازغ في كبد السماء!

الآن بدأ قلبي ينبض. ويداي ترتعشان، نظرت إليك والدهشة تملأ عيناي. فوجدت

ابتسامة الملائكة تملأ وجهك الجميل. ويداك ممدودتان نحوي

فباغتك بسؤالي وحبي وعشقي ولهفتي. وحنيني إليك منذ الطفولة والصبا والشباب، وسألتك سؤال؟ أتذكرين لا. تمهلي قبل أن تجيبي.

فلابد وأن تسمعين اعترافاتي فانا أعترف أنني عرفت قبلك الكثيرات. الحسناوات الجميلات.

ولكن لم تستطيع إحداهن أن تجعل قلبي ينبض نبضة حب واحده كما فعلتي أنتِ لم تستطيع إحداهن تحريك مشاعري وهز كياني كما فعلتي أنتِ. نعم أنتِ، أنتِ من امتلكت القلب وسكنتي الفؤاد، أنتِ من هيمنت على المشاعر والإحساس، أقسم لكِ أنني لم أعرف شيء في حياتي عن الحب إلا عندما سكن طيفك أحلامي وخيالي حبيبتي. نعم أنتِ، فأنتِ حبي. عمري. روحي. وجداني. كل حياتي، أنتِ كل كياني،

نعم أنتِ كل هذا. بل أكثر من هذا. أحبك حباً يفوق أن أكتب عنه ملايين الصفحات..

أنت الضياء عندما تشتد الظلمات، انت الدليل عندما تتعثر أقدامي في الفلوات، أنت الأمل. بل أنت الحياة، وكانت همساتك التي ملأت القلب غرام وحنين، أتذكرين.

فأنا ما زلت أذكرها، أتسمعينها. فأنا أحفظها عن ظهر قلب، أرددها في اليوم ملايين المرات. آه حبيبي ماذا تنتظر مني أن أقول؟

تنتظر أسمي، فماذا يعني أسمي بجانب كل هذا الحب! ولكن؟

أين أنا الآن منك؟ أما زلت تجهل أين أنا؟

فأنا جوارك، أنا هوائك، أنا في دمائك كما أنت في دمائي، أنا جسد يحيا بذكراك.

أنا روحك كما أنت روحي.

أنا أنت كما أنت أنا، أنا عيناك الناظرتان.

شفتاك الهامستان يداك النابضتان، أنا قلبك العاشق. وإحساسك الدافئ، أنا. كما أنت تشاء، ولكن؟ تذكر حبيبي غداً ها هنا اللقاء.

وبدأتِ ترحلين والعمر من وراءك يرحل والنوم يخاصم جفوني ووجدت نفسي أهتف قائلاً:

إنني في انتظار اللقاء. إنني في انتظار اللقاء.

أه. الشمس ذهبت كي تستريح فويحك يا قلبي أتأبى الرجوع، نعم لن أعود. لن أعود.

فأنا في انتظار نفسي أن تعود، فظللت عاكفاً وحدي فوق الرمال منتظر بزوغ الفجر، امتلأ الليل بالبرودة والصقيع ولكنني أشعر وكأن بداخلي ناراً مؤججة، أشعر وكأن بداخلي بركان يستعد للانفجار مر الليل وانقضى دون أن تنطبق جفوني، وجاءت أولى لحظات النهار.

وبدأت الساعات تمر ساعة تلو أخرىَ

وأنا أسأل نفسي؟ ترى هل سنلتقي؟

هل سأراها من جديد؟

وبعد عناء وتعب. وجدتك تقتربين مني مرتدية ثوباً أزرق أنيق، فأنا ما زلت أذكره، وجدتك تقتربين. تنادين أنت يا من تقف في انتظار لقائي.

يا من تعرفني وأعرفك قبل أن أراك أو تراني، أنت يا من أحبك حتى الموت. أنت يا مهجة القلب وبهجة الفؤاد. أنت يا منى النفس وملاذ الروح، وبدأتي تهمسين. هل تتذكري، فأنا أتذكر جيداً.

كنتِ تقولين أحبك. نعم أحبك.

وهل في هذا خجل. أعشق رؤياك منذ أن التقت الأرواح في حياة البرزخ قبل الميلاد.

نعم أحبك أنت وهل في هذا شك.

هل الحب رذيلة..

يجب علينا أن نواريها عن عيون الناظرين!

هل الحب خطيئة يجب أن نتوب عنها؟

يا حبيبي. إن كان الحب هذا وذاك.

فأنت أولى رذائلي وآخر خطيئاتي.

أنت قلبي النابض بداخلي. أنت روحي السابحة في بحور الهوى. أنت عشقي. ووجدي.

أنت سهدي وغرامي. أنت حنيني، أنت انفعالاتي. وآهاتي. وتنهداتي، أنت دماء جسدي وقلبي المفعم بالحب، أنت الفؤاد ونشوته حين اللقاء وحين المغيب، يا حبيبي. أنت من أنا أهواه.

أنت من أعشق دوماً رؤياه!

وهنا اشتاقت روحي لعناق روحك. وبدأت تطوف وتسبح في بحور الهوى والفضاء البعيد! بدأت كلماتي تتناثر كالأزهار.

وغدوة أغزل ثوباً لك بالقبلات والآهات والشوق واللهفة والحنين. والخوف، نعم الخوف.

ولكنه ليس الخوف الذي تعرفه البشر والخلائق، أتذكرين عندما سألتني سؤالك الذي ما زلت أذكره، لماذا الخوف؟

أتذكرين حقاً فأنا ما زلت أسمع رنينه في أُذني حتى الآن، وهل ما زلتِ تذكرين بماذا أجبتك.

تمهلي لا تتكلمي فأنا ما زلت أذكر كل حروف الكلمات، كانت إجابتي. حبيبتي أخاف أن تهجري العُش عندما ينتهي الشتاء.

أخاف أن ينتهي اللقاء قبل اللقاء.

أخاف أن تتواري بين أحشاء الزمن وتتبعثر الذكرى بين طيات السنين، ثم نظرت إليكِ والدمع يتساقط من عيناي العاشقتان والآهات تمزق طلوعي.

والوحشة تقتلني. تبترني من أعماق ذاتي.

فوجدت يداكِ الناعمتان تمتدان نحوي تجفف دموعي، تمحوا آلامي وتزرع الأمل بداخلي من جديد، وفجأة!

وجدت عيناكِ تحتضنني. تعانقني. تملأني بالأمل. وتمحوا من داخلي اليأس والآهات وتدعوني للحياة..

آه. فهل بدونكِ تستمر الحياة؟

هل بدون الشمس يأتي النهار؟

هل بدون الدماء ينبض القلب؟

هل بدون الروح يكون للجسد تأثير؟

أتذكرين كلماتك!؟

أنا روحك كما أنت روحي.

أتذكرين عندما قلتي لي أنا أنت وأنت أنا، فأنا ما زلت أذكر كل همساتك..

أذكر كل أنفاسك الملتاعة التي احتضنتها بصدري، أملأ بها

شراييني وأوردتي. أستمد منها الحياة.

آه. الحياة!

الحياة من أجلك أنتِ، من أجل عينيكِ. وجنتيكِ. شفتيكِ التي أذابت قلبي بهمساتها الساحرة.

الحياة من أجل قلبك الحنون. وأحاسيسك الفياضة بالرقة والعذوبة، كانت حياتي من أجلك أنتِ!

نعم أنتِ!

كنت أعبر الحاضر بقارب من الأمل، أسبح إلى المستقبل المنير مبحراً إليكِ موقناً أنني سأجدك يوماً في انتظار لقائي، كنت أعرف ملامح وجهك، أحفظها عن ظهر قلب، فانتِ محفورة داخل قلبي. منقوشة فوق لحمي.

بارزة في عظامي، أنتِ. نعم أنتِ

أنتِ في كل أعضاء جسدي، أحيا بحبك. أتنفس حبك. أسير بحبك، أخاف أن ينزف دمي فوق الرمال. فوق الطرقات

فوق الرُبى. فوق السفوح. أتعلمين لماذا!؟

فإن نزف دمي ستعرف كل البشر من أنتِ!

لا. بل ستعرف كل الخلائق من أنتِ.

أتدرين لماذا!؟

فالدم سوف يرسم صورتك الجميلة

ويكتب اسمك الذي أُواريه بين دقات قلبي وأخفيه بين عظامي.

أجعله حبيس بين أنفاسي. وآهاتي. ونظراتي. وتنهداتي التي تشعل النار ناراً.

أنتِ حبيبتي ولن يكون لي غيرك حبيبة. لن يكون لي غيرك رفيقة في عمري..

فأنا أحبك بكل ما أُتيت من أحساس ومشاعر. أحبك ولن أستطيع نسيانك.

أحبك أنتِ، كما أنتِ أحبك.

نعم أحبك أنتِ، ولكـن!؟

هل تستطيع كلمة حب أن تعبر عما بداخلي؟ هل مائة عام تكفي كي أحبك؟

هل ألف عام بل آلاف الأعوام تكفي أن أعبر عن ذرة واحدة من حبي وغرامي وحنيني إليكِ.

انتظري، فأنا بداخلي الكثير.

بداخلي حب لا يعرفه إنس قبلي ولا جان.

ولكنك لم تنتظري؟

أتذكرين!؟

أتذكرين حين امتلئ وجهك بالابتسامة الرفيقة، أتذكرين عندما بزغت ثناياك الجميلة.

وكأنها اللؤلؤ المرصع بالذهب الخالص، وقلتِ نعم أذكر حبيبي، فكيف أنسى وكل كلمه أحيا بذكراها. أرددها في كل وقت وحين، فأنت ما زلت بداخلي. أنت حبيبي. عمري، أنت الضياء الذي يملأ حياتي.

أنت ريحانة قلبي. وزهرة فؤادي، أنت النسمات الندية التي تداعب وجنتاي وشعرى الذي يعشق لمسات يديك.

حبيبي بكل دقة في قلبي أحبك، بكل نبضه دم تسري في أوردتي وشراييني. بكل حروف دواوين الشعراء. وروايات الأدباء أحبك.

بكل تغاريد الطيور وعدد النجوم أحبك، نعم أحبك بكل عدد غيمات السحب وقطرات المطر ونسمات الهوى أحبك.

أه. حبيبتي قد حل المساء واقترب المغيب. ومرت الساعات سريعا دون شعور منك أو مني.

فكيف نشعر بمرور الوقت ونحن التقينا في حين غفلة من الزمن..

كيف نشعر ونحن نتجرع الحب في كؤوس الهوى. ولكن لابد من الرحيل فقد رحل كل من كان حولنا ولم يبقى على الشاطئ غيري. أنا. وأنت..

ولكن إلى متى ستظلين جواري.

لا. لا تقولي إلى أخر العمر. فأنا أعرف ماذا تقولين.. ولكن لابد وأن ترحلي، فأنا أخشى عليك من أي سوء، أخشى عليك من الظلمات ولفحات البرد القاسية وكأنها ضربات جلاد تملأ البهجة قلبه عندما تتألم البشر..

وافترقنا على وعد بلقاء جديد، افترقنا والدموع الغزيرة لم تتوقف، وكانت أخر كلماتك وأنت ترحلين. يا حبيبي كن في انتظار لقائي!

فإني سوف أعود!! سوف أعود..

افترقنا ومر من الزمان ما مر وبقي منه ما بقي ولم تأتى للقائي ولا اعرف ما الذي منعك عنى؟ وها أنا ما زلت في انتظار حضورك. ولكن؟

هل ستعودين كما وعدتني؟

هل سنلتقي من جديد؟

هل ستعود الحياة للونها البديع؟

هل ستعود الروح إلى الجسد؟

هل سينبض القلب وتعود له الحياة؟

حبيبتي أنا ما زلت عاكفاً بجوار الصخرة التي شهدت اسعد لحظات حياتي..

حبيبتي. أنا أعلم أنك سوف تقرئين هذه السطور يوماً وستعلمين أنني أكتبها إليكِ أنت، لكِ وحدك، نعم أنت. فأنتِ وحدك التي تحفظ كل كلمه كتبتها يدي.

تشعرين بكل دقة كان يدقها قلبي عندما أمسكت القلم وأحضرت الورقات، أنت وحدِك من ترىَ دمعتي فوق الصفحات، ولكن حبيبتي؟

لا تحزني فقد ذهبت روحي تبحث عنكِ ولم تعود كما فعلتي، فإن تقابلتما سوياً فعودا..

عودا إلى الصخرة. نعم الصخرة التي ستظل عاكفة في انتظار لقائك. ولكن؟

كوني حذرة جداً. فجوارها تكمن رفاتي، فلا تهمسي ولا تدمعي، واستمعي جيداً فسوف تسمعين شدوا الرفاه..

سوف تسمعين كلمات لم تسمعيها من ذي قبل، سوف تسمعين لحناً عذباً جميلاً يعزف من أجلك أنت، فحين إذن حبيبتي رددي

معه الكلمات ودعي البكاء. جففي الدموع فكل جزء من رفاتي يشتاق لأن يرى ابتسامتك العذبة النقية البريئة

فلا تبخلي بها يا حب ما زال باقي، ولا تتعجلي الرحيل واجلسي بجواري. نعم اجلسي بجوار الصخرة التي تكمن بجوارها رفاتي، الصخرة التي جلست فوق قمتها. كثيراً

أناجيك ليلاً ونهار حتى رحلت الروح عنى، وسكن بجوارها جسدي، سيرى بجوار البحر فوق الرمال. فما زالت أثار أقدامي عليه، والآن أعلنها بدون خجل أو خوف، أعلنها وليسمعها كل الأحياء والأموات، أعلنها وليسمعها كل العالم

أحبك أنتِ. نعم. أحبك أنتِ رغم الرحيل.

التفاته عابرة

في أحد أيام الصيف الساخنة، بعد أن صليت العصر ورجعت إلى المنزل، صعدت درجات السلم حتى انتهى بي الأمر أعلى سطح المنزل المكون من طابقين، وكنت قد وضعت كرسياً حديدياً من ذي قبل في ركن منعزل، جلست عليه وكان الحزن والكآبة يسيطران على عيناي الذابلتان، بدأت أنظر في كل اتجاه. أتأمل الحقول حينما اهتزت وربت بالماء الغزير التي تحتويه بين جسورها، أتأمل العصافير وهي تبني أعشاشها، أتأملها وهي تزقزق مناديه على أولادها الصغار، قبل أن يحل المساء. تناديهم بحنان الأمومة ورقتها، وحين غفلة مني حانت التفاته عابرة إلى إحدى البلكونات المجاورة، فإذا بفتاة كأنها القمر..

لا بل كأنها ملاك هبط فجأة من السماء على الأرض فملأها نوراً وضياءً وعبير!

آه. لماذا انتفض قلبي وارتعش جسدي؟ ترى لماذا ارتعشت أطرافي وأناملي؟ آه يا قلبي لا تضعف أمام الحب مرةً أخرىَ، أو لم نتعاهد سوياً. أولم تقسم على إنك لن تنبض نبضة حب لفتاة أخرى!

آهٍ صاحبي. كيف لا أشعر بها؟

كيف لا أعشق سحرها؟ أنظر إليها. تأملها فهي رقيقةً كفراشات

الربيع، أنظر إليها. فهي في براءة الأطفال!

هي ندية كقطرة ندى فوق الزهور، هي نسمة صيف رطبة تداعب أغصان الشجر، ارفع يدك في الهواء. لوح إليها اجعلها تشعر بوجودك، اهمس لها بلسان صدق. هيا. هيا ارفع لها راية المحبة والشوق! كن صادقاً معها!

فهي من حركة بداخلك إحساسك الدفين منذ سنين. كن صادقاً معها فهي من جعلتك تشعر بلذة الحياة من جديد، هي من أعادت للقلب إحساسه ونبضه..

آه. ترى هل كل هذا الجمال والرقة والنعومة مازال بلا خطبة أو ارتباط عاطفي؟

آه. إنها تتمايل كأنها زهرة تنساب بين أحضان الهوى، تتراقص واضعة يديها بشكل أفقي متعرج كأمواج البحر وكأنها تغني أغنية من أغاني أم كلثوم الجميلة!

تتمايل وهي في غفلة أنني أراها وأنا في هذا الركن المنعزل فوق سطح منزلي.

آه. ترى من هذا الطفل الصغير الذي قطع انسجامها ونشوتها، إنها تميل إليه واضعة أُذنها في فمه الصغير. ترى ماذا قال لها؟

آه. إنها رفعت وجهها الجميل في استقامة وشموخ. ناظرةً بعينيها

الجميلتين في نفس الاتجاه الذي أجلس فيه، لقد صوبت سهام عينيها الساحرتان نحوي!

آه. قلبي. قلبي. ماذا أصابه إنه يؤلمني بشدة ترى ماذا أصابني؟ آه. لقد اخترق سهم عينيها قلب قلبي، إنه يجذ بني إليها. يقودني نحوها! آه. لقد ملئت الابتسامة وجهها الجميل المشرق الذي يشبه القمر والشمس

وقد احمرت وجنتيها، ترى هل أصابها سهمي مثلما أصابني سهمها؟ هل تشعر بوجودي وتهمس بحبي؟ آه. لماذا ارتعش قلبي واهتز القلم بيدي؟ آه. ما هذه القشعريرة التي أصابتني؟

ترى هل هذا هو الحب من أول نظرة؟ هل هذا ما كنت أرفضه وأهرب منه؟ ترى ماذا أفعل؟ هل أترك لنفسي العنان وأسبح في بحور الحب والهوى؟ هل أحلق في الفضاء البعيد؟

آه. كم افتقدت هذا الإحساس الدافئ منذ زمن بعيد، كنت أجهل هذا اليوم الذي فيه ينبض قلبي ويشعر بكل هذا الحب العميق. ولكن؟ كيف أعرف أنها تبادلني حباً بحب؟

وكيف لي أن أعرف وأنا أشعر برعشة تملأ جسدي وهي تبعد عني بعشرات الأمتار!

كيف لي أن أعرف وأنا لا أملك الجراءة على محادثتها أو النظر في عينيها من قريب!

آه. ترى إن جمع بيننا لقاء هل أستطيع السيطرة على نفسي، وألملم كلماتي المبعثرة بداخلي وأعبر لها عن شوقي وحبي العميق، أم تتبعثر كلماتي أكثر وتزداد دقات قلبي وينعقد لساني

وأبدوا أمامها كالأبله الذي لا يجيد الكلام آه. لو تشعر بي.

لو تعرف كم أحبها وأشتاق إليها! لو تعرف كم دقة يدقها قلبي عندما أنظر إليها خلسة!؟ آه. لقد حل المساء ولم أعد أراها. توارت عن عيناي وكأنها ذابت بين شُطآن الظلام!؟

ترى ماذا أفعل!!؟؟ هل أظل عاكفاً فوق هذا الكرسي حتى الصباح؟ هل أظل في انتظار خروجها مرة أخرى؟ آه. ما هذا البرد القارص الشديد؟ وما هذا الحرقان الذي ألهب عيناي. آه. لقد تلاعب النعاس بي، إنه قرآن الفجر. أنه يوم جديد. ترى. أنمت كل هذا الوقت. هل ما رأيته كان حلماً أم حقيقة؟ آه. لن أدع الأفكار الشيطانية تُلهياني عن صلاة الفجر

سوف أذهب إلى المسجد أُصلي وبعد الصلاة سأجلس أُردد الأذكار وأقرأ ما تيسر لي من القرآن. وبعدها أُصلي الضحى ثم أعود إلى المنزل ربما أغفوا قليلاً قبل أن أذهب إلى العمل

آه. لقد مر الوقت سريعاً وها هي عقارب الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً، ترى من هذه الفتاة التي تسير أمامي؟

آه. مالي أرتعش كلما تقترب المسافة التي تفصل بيننا آه. ما هذا

الحنين الذي يأخذني إليها؟

آه. أشعر بأقدامي تندفع نحوها. أشعر بدقات قلبي وكأنها طبول يدق عليها فتيةً أشداء، آه. لن أقترب منها فربما إن اقتربت وألقيت عليها السلام تراني الفتاة التي سحرة فؤادي بعينيها وتفكر أن بيني وبين هذه الفتاة علاقة عاطفية.

لا. لا. لن أقترب منها وفجأة حانت منها التفاتة عابرة. لم أستطع أن أُميز ملامح وجهها. ولكنني شعرت وكأن سهماً أصاب قلبي اخترق لحمي وعظامي. آه.

ترى من تكون هذه الفتاة التي تمشي أمامي؟ ولماذا تثاقلت خطواتها وتشابكت يديها أما صدرها؟ آه. لقد توقفت عن السير وكأنها استشعرت خطر يقترب إليها. آه. أشعر بقشعريرة تسري في كل أعضاء جسدي المثقل بالهموم

أشعر بدوار يحتويني، وقبل أن أصل إليها ببضعة أمتار التفتت لي وعلى وجهها الجميل المشرق ابتسامة ملئت الدنيا ضياء وبهجة وعبير. فاحمر وجهي خجلاً ورهبة. إنها هي.

نظرت في عينيها البنيتين. آه. ليتني لم أنظر إليها، ليتني لم أرى هذا الجمال الفاتن من قريب...! آه. عندما نظرت إليها، ورأيت وجهها الأبيض المشرق كالثلج. الصافي كالسماء

وجدت نفسي أحلق في دنيا الخيال، أسبح في بحور الهوى.

وجدت نفسي في عالم لا يوجد فيه غيري. أنا وأنتِ. نعم أنتِ.

أنتِ الملاك الذي وهبني الحياة من جديد..

أنتِ من بثت بداخلي الأمل وأخرجتني من ظلمة اليأس والكآبة إلى نور التفاؤل والاستمرار، أنتِ النور الذي ملأ حياتي

أنتِ من أنسيتني مُر الحياة الماضية، ولكن؟

ترى ماذا أقول لكِ؟ هل أقول إني أحبك؟

لا. لن أقول هذه الكلمة. فعندما تُقال تفقد كل الأحاسيس والمعاني السامية، نعم لن أقولها لن أقول إني أحبك...! فأنا أشعر بداخلي بشيء أكثر من كلمة حب تقال باللسان وتهمس بها الشفتان! أشعر بحنين وشوق يدفعاني إليكِ، أشعر وكأنك تحتويني حتى النخاع، أشعر بأنك الدم بشرايبني وأوردتي. نعم أشعر أنك لحمي وعظامي، بل أشعر أنك كياني كله. ذاتي كله. نعم فانتِ الهواء الذي أتنفسه، بل أنتِ سر الحياة وأريجُها الساحر، فدعيني أُحلقُ في سماء هواكِ!

دعيني أسبحُ في بحور عيناكِ!

فإن شئت صنعت لكِ من قلبي قصراً وأسكنتُك فيه لعله يكفيكِ ويرضيكِ.

آه. حبيبتي مالك لا تتكلمين فأنا في أشد الشوق واللهفة لسماع

صوتك العذب الجميل، آه. فكم أشتهي حديثك العذب وصوتكِ الذي يشبه تغاريد العصافير والبلابل، آه. يا إلهي ما أجمل هذه الابتسامة ليتك ما ابتسمت هذه الابتسامة المشرقة فكيف لي أن أتحمل كل هذا الجمال والروعة، آه. تكلمي يا من إذ تكملتي تنصت لكِ كل الآذان والمشاعر، وهنا سيطر علينا الصمت لحظات وازداد وجهك جمالاً وإشراقاً وبدأت أترقب كلماتك، وكأنني ما خلقت إلا للاستماع إليكِ من بعد سماع القرآن آه. أنا.. أنا، تكلمي لتشعر الدنيا بمثل شعوري وتسعد بمثل سعادتي، آه. لماذا كل هذا الارتباك؟

لماذا كل هذه الحيرة والارتياب؟

ترى من هذا الرجل الذي ظهر من بعيد؟

لماذا تركتني وأسرعت إليه؟

آه. إنها تنظر نحوي من وقت لآخر وكأنها تدعوا الله من صميم قلبها بأن لا يكون قد رآها وهي واقفةً تحدثني هذا الحديث الذي ذاد حيرتي وأثار شجوني وهمومي، فأنا لم أسمع منها سوى كلمة واحدة، ترى من يكون هذا الرجل النحيل الذي أخذ يدها في يده؟ من أين ظهر فجأة وكأنه الموت؟ آه. مال أقدامي لا تقوىَ على حملي وكأني جبل ثقيل تحمله أعواد من الحطب؟

آه من هذا الرجل!

من هذا الرجل الذي طعنني بخنجر الحيرة والألم فكم تمنيت أن أسرع خلفهما وأسترق السمع وأعرف من يكون..

ولكن أقدامي أبت أن تتحرك وأبت عيناي أن ترى ما يحدث، ولكن متى سأراها من جديد كي تضع أجوبة لكل هذه الأسئلة بداخلي، مرت الأيام وكأنها أعوام.

وذات يوم وفي نفس المكان الذي ولد فيه حبها في قلب قلبي سمعت زغاريد منبعثة من بيتها معلنةٍ عن اقتراب يوم زفافها وموت قلبي من جديد. وجاء اليوم الذي جلست فيه فوق المسرح الذي صنع لهذا اليوم.

جلست مرتدية ثوبها الأبيض منتظرة الرجل الذي أصبح زوجها، فذهبت إليها لأودعها بعيني الدامعتين. وحين أصبحت أمامها في وسط كل هذا الجمع الهائل من البشر الذين ذهبوا ليشاهدوها لآخر مرة فهي سوف تترك البلدة وتذهب مع زوجها إلى مكان بعيد، وحين غفلة من كل الحاضرين، نظرة إليها، فجاءت عيني بعينيها البنيتين..

رأيت فيهما اعتذارات كثيرة وألم شديد وكأنها تعاتبني وتسألني لماذا تركتني إلى هذا الجحيم المؤلم! وهنا طفرت من العين عبرات خشيت أن يراها أحداً من الحاضرين فتراجعت رويداً رويداً وأخذت طريق العودة إلى المنزل عائداً إلى الانطواء والعزلة من جديد مُتمنِياً لها السعادة والهناء رغم الحزن الساكن في قلبي.

لا تقتلي الحب

حبيبتي قد أمسكت قلمي الآن اكتب إليكِ قائلاً: آه يا من تعلمين كم أشتاق إليكِ. فعندما ابتعدتِ عني عجزت يدي عن الكتابة، ومات الإلهام بداخلي، فهل تعودي وتنقذين ما بقي من حطام عمري.. هل تعودي لتلملمي بقايا قلبي المحطم! هل تعودي كي يعود إلهامي وينبض الدم بأوردتي ووتيني..

حبيبتي.

رغم ابتعادك عني لم أستطيع نسيانك، ورغم رحيلي عنك يزداد لكِ حبي وشوقي، فأنتِ الروح. أنتِ القلب. أنتِ.. كل الحياة!

حبيبتي. عمري. روحي. قلبي النابض بداخلي. آه. مال جسدي متثاقل كالجبال وقد عاد عقلي إلى الماضي البعيد، آه. تمهلي. أرجوكِ لا ترحلي عني. لا تقتلي الحب. لا تقتلي القلب الذي يهواكِ.

آه. لقد ترقرقت الدموع بعيني والتهبت شراييني من حرارة الشوق، حبيبتي لماذا الرحيل! لماذا الفراق؟ لماذا العذاب؟

حبيبتي. اعلمي أنني أبتعد عنكِ كي أقترب منكِ! وأرحل عنكِ بقربي إليكِ! فكيف أبتعد عنك وأنتِ بداخلي! كيف الرحيل

وأنتِ كل كياني. قولي لي حبيبتي كيف النسيان وأنتِ عالمي الذي أشتاق إليه وأنا بداخله!

حبيبتي. هل هذا هو القدر!؟ لا تقولي نعم فلن يكون هذا هو القدر، أتدرين لماذا لن يكون هذا هو القدر؟ لان القدر رحيم..

فمن قدر القدر غير الله. نعم هو الله. هو الرحمن. هو أرحم الراحمين، بل قولي هذا هو المصير.

نعم المصير الذي نصنعه نحن البشر بأيدينا، نصنعه نحن الجهلاء الأغبياء. أتدرين لماذا نحن هذا وذاك؟

لأننا نجهل كيف نحب، ونعرف كيف نعذب أنفسنا، نعرف كيف نجرح القلوب ونحيا بذكرى الماضي المر. الماضي القاسي المؤلم.

نعم حبيبتي فنحن البشر جهلاء، نجهل كيف نصنع لأنفسنا مستقبل مشرق منير.

نجهل كيف السعادة!

آه. السعادة التي جهلنا أسمى معانيها وأروع ما تحمله من الحب والشوق والحنين إلى من نحب، فأنا أحبك وهذا صدق وحقيقة وليس رياء، أما أنتِ. فربما تكوني قد أحببتني يوماً.

أو بمعنى آخر ربما تكون جذبتك إليَ كلماتي التي قد قرأتها يوماً، أو ربما وجدتي نفسك في إحدى قصائدي أو بطلة إحدى رواياتي..

وهذا لا يكفي. أتدرين لماذا؟

لأنك كل قصائدي وأُغنياتي، أنتِ كل بطلات رواياتي، لا. بل أنتِ كل كلماتي ولكن؟

لماذا الصمت؟ لماذا لا تعلني رفضك لي؟ لماذا لا تقتلي الحب إن كان وهم؟

كل هذه الأسئلة بداخلي فهل لديكِ إجابات عليها؟ تكلمي فأنا أُنصت لصمتك أكثر من كلماتك، أنا أقرأ كل ما بداخلك من نظراتك الحائرة العاجزة، حبيبتي. أنا مثلك ضعيف وضعفي يظهر أمام عيناك الساحرتان. ولكنني أفر منهما باحثاً عن ذاتي، ألملم بقايا الأيام المنصرمة.

أكتب كل ما أريد قوله لكِ عسىَ أن تقرئيه يوماً فانتِ وحدكِ من تعلمين أنكِ أنتِ حبيبتي، أنتِ وحدكِ من تعرف ماذا تعني نظرات عيناي، فانتِ من أنا أهواها. أنتِ من أشتاق دوماً لرؤياها. أنتِ الهواء الذي أتنفسه.

أنتِ الروح. أنتِ الحنين إلى العذاب واللوعة، أنتِ النار التي تُلهب كل القلوب وتحرق قلبي الملتاع بلهفة الأشواق.

حبيبتي. سوف أرحل عنك. سوف أرحل إلى الأبد! لن أعود يوماً. ولكن؟ اذكري لي أنني أحببتك أكثر من نفسي، اذكري أنني أهواكِ. اذكري أنك أنتِ وحدك هوائي. ذاتي. دمائي. عظامي.

لحمي، اذكري أنك قلبي. نبضاتي. اذكري أنكِ أنتِ وتيني..

اذكري أنكِ أنتِ كلماتي. العاشقة فوق السطور. بين أحشاء الصفحات، حبيبتي. نعم حبيبتي! حبيبتي منذ زمنٍ بعيد. حبيبتي عندما التقينا غرباء، وافترقنا على موعد بلقاء.

حبيبتي عندما بدأت أحاسيسي تشعر بكِ. نعم تشعر بكِ في قربك مني وبعدكِ عني!

آه. حبيبتي كيف لي أن أكرهكِ أو أبتعد عنكِ؟ كيف لي أن أنساكِ لحظة وأنتِ في قلب قلبي. في دمائي. في عمق وجداني، في النبضات. في الكلمات. في النظرات. في كل كياني!

حبيبتي. دنياي، فلتفعلي ما تشائين!

إنسي من أنا، دعيني سجين بين قضبان عينيكِ، اجعليني أحد ضحايا الحب. بل اجعليني أحد ضحاياكِ، اقتُليني إن شئتِ. اقتلعي قلبي من بين أحشائي واقذفيه في اليم العميق اجعليني ماضي مبعثر في الصحراء الواسعة الشاسعة بين حبات الرمال والجبال والربى، ولكن؟

دعيني أفعل أنا ما أشاء، دعيني أصنع منكِ ما أريد، فسوف أصنعك قصوراً تحمل أطلال الماضي البعيد؟ سأصنع منك كهفاً أحيا بداخله، نعم أحيا في محرابه وحدي أناجيكِ بداخلي. أحادثكِ وأستمع إليكِ، أُنصت إليكِ كيف أشاء، أحلُم بكِ إن

سكن النوم جفوني، حبيبتي..

دعي الصمت. تكلمي لا تقتلي الحب. فمازال بداخلكِ قلب ينبض، بداخلكِ قلب عاشق، بداخلكِ قلب حالم.

حبيبتي..

عندما يحل الشتاء وتمطر السماء تحرري من القيد الذي جعلك سجينة أعوام كثيرة، اخرجي من الكهف الذي صنعه لكِ خوفك، سيري تحت قطرات المطر، دعيه يطهركِ من دنس الصمت الرهيب، حطمي كل قلاع الماضي المهلك

افتحي قلبك للحب والحنين، افتحيه للشوق والوفاء، افتحي قلبك لمن تشائين. افتحيه لمن يهبكِ الحب والسعادة.

لا تقتلي الحب ودعيني أُحبك!

لا تقتلي الحب. حبي غيري إن شئتِ

ولكن؟ دعيني أحبك. فهذا حقي.

فأنا لا أملك أن أكرهك؟

كيف أكرهكِ وأنتِ من علمتني كيف أكتب كلماتي النابضة!

أنتِ من علمتني كيف أحب، نعم أنتِ، فكيف لا تملكين قلباً يحب، كيف تجهلين الحب وأنتِ معلمتي، حبيبتي. تحرري من

الوحدة والانطواء.

يا كل عمري ونفسي وذاتي، حبي حتى تذوبين في الحب حتى الثمالة، فبالحب تستمر الحياة، إني أحبك وأعلم أنك تبتعدين عني، إني أحبك وأعلم أنك ربما لا تكونين لي، ولكن؟

كيف أكرهك وأنتِ الحياة؟ كيف أكرهك وأنتِ! حبيبتي. أمي. وأختي. وابنتي..

كيف أكرهك وأنتِ دنياي التي عشقتها وعشقت كل ما فيها من حنان وقسوة. وهدوء وضوضاء، أنتِ البحر الذي أعشقه وأعشق أمواجه الزرقاء. أعشق شطآنه ورماله وصخوره، أنتِ الشمس ودفئُها حين الشتاء، أنتِ الأرض بأشجارها وزهورها الخضراء..

حبيبتي. لا تقتلي الحب. ودعيني أحبك كيف أشاء! فأنا أعلم أننا سوف نفترق يوماً، سوف نفترق لا مجال للشك، آه لقد مرت الأيام وحل الفراق بيننا وتباعدت الحدود واتسعت المسافات، افترقنا ومرت الأعوام والسنون، وذات يوم التقينا، بين عيون الناظرين. ولكنك لا تعرفين من أنا؟

فقد فعل الشيبُ بي ما فعل، ولكنني أنظر إليكِ كما كنت أفعل منذ زمنٍ بعيد، أنظر إلى من معكِ نظرة تجعلني أشعر بدوار شديد، تسألين نفسك؟ ترى من هذا الرجل العجوز الذي يخترقني بنظرات عيناه الذابلتان؟

تقتربين مني وكأنك مشفقة علىَ، وضعت يدي المرتعشة على كتف ابنتك..

نطرت إليها فوجدتها أنتِ منذ عشرين سنة أو يزيد، بدأت أنظر في عينيها التي أخذتني إلى الماضي البعيد، أنظر إلى أنفها. ووجنتيها. وفمها. وشفتيها آه. هي أنتِ بعنقها الشامخ كالأهرام!

هي أنتِ بابتسامتها الملائكية، أنظر إليها مرة وأنظر إليكِ مرة أُخرى، أسترجع الذكريات، وأسترجع الماضي السحيق، الماضي الذي قضيت حياتي كلها سابحاً في أطلاله الساكنة في قلب قلبي، وبدأت عيناي الذابلتان تدمعان وشفتاي الهزيلتان ترتعشان، أهمس بكلمات لم يسمعها غيري. بل ربما تكونين قد سمعتها، او ربما سمعتي بعض منها، وفجأة أراكِ تنظرين لي وتلملمي حروف اسمي وتشيري إلىَ ابنتك وتقولين:

هي أنا. هي أنا، وتمتزج الابتسامة بالدموع، فأجبتك بكلماتي المتقطعة قائلاً:

نعم هي أنتِ. آه. مالي رأسي تكاد أن تنفجر، يا الله انه آذان الفجر، فعلمت أنني ما بين غفوة واستفافه! فهمست في نفسي قائلاً:

حبيبتي لا تقتلي الحب ودعي أسماءنا تكتب

في دفاتر العاشقين

الفرعون الذي سرق قلبي

بعد أن فكرت كثيرا ولملمت شتات فكري ورتبت كلماتي وحروفي الناخرة.

عزمت أن أكتب إليك هذه الكليمات

وبعد أن أحضرت قلمي وإحدى دفاتري، وجدت نفسي حائرة الفكر زائغة العينين، فوضعت القلم الحائر من بين أصابعي المرتعشة.

نعم وضعته فوق الصفحات الدامعات وسألت نفسي قائلة:

ترى ماذا اكتب؟

هل اكتب عزيزي؟

أم اكتب أخي!؟

وهل حقا ما يحمله لك قلبي الصغير المنكمش بدخلي من أسمى الأحاسيس والمشاعر هي مشاعر أخوية!؟

فإن قولت نعم هي كذلك سأكون أكبر مخادعة في دنيا البشر.

أم أكتب كلمة لا يتجاوز عدد حروفها الخمسة حروف وكل

حرف تترجم معانيه إلى آلاف الصفحات. لا بل إلى آلاف الكتب والمراجع! فهل عرفت الكلمة التي أود أن اكتبها.

لا بل أود أن أجهر بها وليسمعها كل العالم، ويعرف كم أحبك منذ أن رأيتك لأول مرة وأنت جالس بجوار أبي.

نعم رأيتك جالساً بجواره في بيتنا الواسع الشاسع بل تحديداً في مجلسنا الفسيح الذي أعده والدي لاستقبال الضيوف..

حينها ودت أن أغلقه بالسلاسل والأغلال كي لا يدخله أحداً بعدك ليظل حامل أريج عطرك الذي ما زال يملأ أنفاسي.

اختلست نظرة إليك قبل أن أقدم لكما أكواب الشاي وإطباق الفاكهة. فشعرت بأن قلبي ينبض نبضات لم أتعودها من قبل رؤيتك.

شعرت بقشعريرة تسري في كل بدني وأحسست بإحساس غريب. شعرت بأنني أُبعث من جديد أُبعث لك وحدك!

وهنا وجدت أمي الحبيبة الغالية تتملقني بعينيها الزرقاوان الواسعتان، تحتويني بنظراتها الدافئة رغم حدتها. ولكنني قرأت في عينيها كلمات لم ينطق بها اللسان العذب ولم تهمس بهما الشفتين الأرجوانيتين!

كانت تقول رغم الصمت، آه يا أبنتي كم أنا مشفقة عليكِ.!

فإن هذا الشاب من أرض غير الأرض التي نحيا على رمالها وصخورها القاسية.

أن هذا الشاب رغم الهدوء والوقار الظاهران على ملامح وجهه العذب المشرق بابتسامته التي يفتقدها معظم الرجال هنا، لا بل كل رجال هذه المدينة الكئيبة إلى أنه يخبئ في حنايا قلبه حزناً دفين وألماً رهيب يحرق كل من يحاول لمسه والاقتراب منه فكيف تستطيعين تحمله؟

إنه يحمل في قلب قلبه حباً جماً لفتاة يعشقها منذ زمن بعيد وفرقتهما الأيام، جعلتها تصبح لرجلاً آخر ولكنها جسداً بارداً بلا إحساس أو روح!

ورغم البعد والفراق فحبها مازال حياً في قلبه ما مات، فكيف تستطيعين أنتِ أن تقتحمين هذه القلعة المحصنة بالأسوار والأسلاك الشائكة، ولكنني قررت أن أخوض الحرب الدامية وأقبل النتيجة أياً كانت فوز وانتصار أو هزيمة وانكسار!

طال اللقاء بينك وبين أبي وأنا من حين لأخر أدخل عليكما بأكواب غير الأكواب.

ورغم أنه ممنوع لا بل محرم علينا الدخول على الرجال في هذه البلدة التي نعيش ونحيا بداخلها، لا بل ونقبر في أرضها الصخرية القاسية ورغم كل هذا لم يسألني والدي عن هذا الاهتمام الذائد

عن المسموح به؟

وبعد برهة من الوقت استرقت أذناي بعض الحديث الدائر بينكما. فبدأت أتابع بإنصات أكثر حتى سمعتك تستأذن بالرحيل. بدأت أنصت أكثر فأكثر حتى أعرف هل ستمكث عندنا أم..

آه. أم سترحل عنا ولن أراك من جديد.

وبدأت أسلم نفسي وقلبي لعالم من الأحلام. بدأت أطوف وأسبح في الفضاء الواسع البعيد الممتد إلى مالا نهاية ولم أشعر حينها بنفسي إلا ويداً حنونة تربط على كتفي وتقول :

حبيبتي لا تدمعي ولا تحزني فإنه ماكث لدينا فترة من الزمن.

ولن أسمح له بالرحيل ما دمت في الحياة باقية!

فأشرق نور وجهي واحمرت وجنتاي خجلاً مما سمعته من بين شفتاي أمي الحبيبة الغالية، مر الليل وانقضى وأشرقت الشمس بأشعتها الفضية اللامعة، ولأول مرة في حياتي السالفة كلها أستيقظ باكراً واستمتع بنور الشمس الدافئة.

فأنا لم أنم طيلة الليل وظللت أتقلب على الفراش وكأنه جمرات من نار أيقضها شوق المحبين العاشقين

أسال نفسي أسئلة كثيرة ليس لها أجوبة بداخل قلبي البائس المسكين.. اهمس بدقات قلبي قائلة:

ترى ما هذا السحر الذي تملكه وسحرت به قلوب هذه العائلة كلها؟

أتدري!؟

لم ينقطع والدي عن ذكر اسمك الذي عندما أسمعه ينتابني الحنين وتسري القشعريرة في كل بدني

ينطق به دوماً على مسمع من أمي وشقيقتي فدوى، تمر الدقائق كالسنين سواء.

ودون أن أشعر بنفسي اقتحمت عليهم مجلسهم الهادئ وكأنني إعصار. فاجأتهم بكلمات لم يتعودون سماعها مني، نظرت إلىَ أبي وأمي وشقيقتي الصغيرة الرقيقة كنسمة الصيف نظرت إليهم والابتسامة الزائفة تملأ وجهي ثم أردفت قائلة:

هل أجهز الفطور!؟

فنظر لي والدي والابتسامة لا تفارق محياه وسألني بصوته الغليظ الأجش قائلاً:

لمن الفطور أيتها الأنثى الناعمة الشقية!

فوجدت اسمك يجري على لساني كمجرى الدم في الشرايين وحبل الوريد.

ثم تلعثمت كلماتي وتاهت حروفي واحمرت وجنتاي البيضاوات خجلاً. وشعرت بأن عيني الخضراوين لم تعد ترى شيء أمامي.. وجدت أمي والابتسامة الماكرة تملأ وجهها المستدير كالشمس والقمر تهمهم قائلة:

نعم يا قرة عيني وثمرة فؤادي جهزي الفطور، ورغم كل هذا المكر الظاهر بعينيها الزرقاوات كمياه البحر شعرت بحنان لم أشعر به منذ رمن بعيد، أحسست بحنان الأمومة يفوح من بين حناياها!

فاتجهت أسابق الرياح إلى المطبخ الفسيح التقط الأطباق والأواني، وفي دقائق معدودات جهزت إفطاراً تفوح منه رائحة الحب والشوق والحنين.

آه إنه إحساس رائع لم أعيشه إلا منذ وقت قريب! ولن أعيشه أبداً مع من سواك، فأنا أشعر بأنني لم أخلق في هذه الدنيا إلا لك أنت.. نعم لك وحدك

ثم ذهبت إليهم لأخبرهم بأن الفطور على المائدة. وفاجأتني أمي بكلماتها التي أبهجت فؤادي كأنها تعلم ما أواريه بين دقات القلب وأنفاس الهواء.

سألتني قائلة:

هل جهزتِ إفطاراً لعبد الرحمن؟

وهنا تنفست الصعداء وتنهدت تنهيدة أشعلت البيت ناراً مؤججة، اتسعت ابتسامتي حتى ظهرت ثناياي. ثم أردفت قائلة:

نعم يا أمي لقد جهزته، وصحت مناديه على شقيقي الأصغر قائله:

ماجد؟

فأجاب بصوته الخافت:

نعم يا أختاه!

خذ هذه الصينية الصغيرة واذهب بها إلى عبد الرحمن ولا تخبره أنني من أرسلتك بها.

وإن سألني فماذا أقول!

إن سألك فقل له أرسلها لك والدي.

بدأت الساعات تمر مر السحاب وجاء موعد الذهاب إلى الجامعة، فكم كنت أتمنى أن تتعطل الحافلة أو يمرض السائق كي لا أخرج من البيت أو أبتعد لحظة واحدة عنك.

ولكن؟ دائماً تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن. فبين ساعة أو ضحاها سمعت آلة التنبيه تعلن عن حضور الكيوبيد! خرجت بوجه غير الوجه الذي آلفته صديقاتي وزميلاتي أسير متكاسلة

الخطى، أنظر إلى البيت من حين لأخر وكأنني ولأول مرة في حياتي أبتعد عنه..

تتعثر أقدامي وكأنني طفلة صغيرة ما زالت تتعلم كيف المسير، وأخيراً قد وصلت إلى الحافلة ومددت يدي وأمسكت بمقبض الباب .

جذبته بقوتي الواهنة. صعدت درجات السلم القليلة، مررت بين المقاعد المتراصة كلوحة فنان. ثم ألقيت جسدي الغير ممتلئ فوق الكرسي.

آه. لقد سيطرت الأحلام على نفسي وعقلي وقلبي بل سيطرت على كل كياني! لم أشعر بذاتي إلا ويد نيفين صديقتي تتحسس كتفي بنعومة ورقة وتهمس في أذني قائلة:

لقد وصلنا الجامعة أيتها العاشقة المجنونة!

نظرت إليها والدهشة تملئني وتحتويني.

أسأل نفسي ترىَ كيف عرفت أنني حقاً عاشقة!؟ ثم سقط من الحافلة كما سقطت تفاحة نيوتن من الشجرة وبدأت أجر أقدامي المتثاقلة حتى وصلت إلى المدرج فألقيت جسدي فوق المقعد وأنا أتعجل مرور السويعات. دخل علينا الدكتور سعيد ليحاضرنا أولىَ المحاضرات اليومية وكل ما أستطيع ذكره هو اسم المحاضرة وفقط.

لا أعرف سواه فوضعت رأسي على الأريكة الأمامية وجعلت وسادتي زراعي المرتعشة.

ومن حين لأخر أرفع رأسي والابتسامة العذبة تملأ وجهي، فتقع عيناي اللامعتان في عيني من يحاضرنا وتقرر هذا عدة مرات دون قصد مني لذلك.

فامتلأ وجه سعيد خجلاً فأنهىَ المحاضرة قبل موعدها..

آه. كم أنا مشفقة على هذا الرجل التعيس العاثر الحظ.. فهو يجهل حقيقة هذه الابتسامات ويجهل أنها ليست له هو. بل لرجل آخر، رجل سحر قلبي وروحي وعقلي وكل ذاتي..

نعم فإن هذه الابتسامات كانت. آه. كانت لك أنت. لك وحدك فأنت من أصبحت تمتلكني وتحتويني حتى النخاع.

أصبحت معي في كل خطوة تخطو بها أقدامي.

أصبحت معي في كل حلم يراود أفكاري.

بل أصبحت معي في كل حرف وكلمة ينطق بها لساني وتهمس بها شفتاي الصغيرتان الأرجوانيتان، مرت الساعات وأصبحت أسابق الخطىَ حتى أعود إليك.. أعود إلىَ المنزل كي أقف في شرفة غرفتي المطلة على المكان الذي تقطن فيه.. وعندما ولجت من الباب الأمامي للبيت.

مررت من أمام الغرفة التي ما زالت تحتوي على أريج عطرك الساحر بين حناياها، استنشقت عطر أريجه وحبسته بين أنفاسي!

فأغمضت عيناي وعلقت يداي في الهواء وكأنني فراشة تتأرجح في الهواء الرطب وكانت المفاجأة! حين اصطدمت بأمي وبعثرة كل أحلامي من حولي. وتهاوت في الرياح كل قصور خيالي.

اتجهت مسرعة إلى غرفتي وأنا الملم بقايا أحلامي المتهاوية..

أخبئ أحاسيسي ومشاعري عن عيون أمي. وقد ظننت بجهلي أنني قد نجحت في إخفائها ونسيت أن البنت هي سر أمها.

أغلقت الباب خلفي وقبل أن التقط أنفاسي اللاهثة وقفت خلف النافذة أترقب رؤيتك

آه. مال هذه الدقائق والساعات تمر وكأنها أعواماً ودهور؟

آه. أين أنت الآن فأنا في شوق لرؤياك كشوق الصائم إلى جرعة ماء! أين أنت أيها الفرعون؟

يا من سرقت قلبي وأسرت فكري ووجدي. آه هل سأظل قابعة خلف هذه الأسوار!؟

لا. لا سوف أعبر كل هذه المسافات والحدود

فحبي لك لا يعرف حدود ولا يؤمن بالقيود!

سوف أحطم كل السلاسل وأعبر إليك.

نعم سوف أحضر إليك ولو تحطمت بعدها رأسي!

فأنا الآن متيمة بحبك. أسيرة لفؤادك. أتجرع الشوق إليك كما يتجرع المريض الدواء.

آه. أولم تشعر بي. ألم ينبض لي قلبك نبضة واحده!؟ حبيبي. نعم حبيبي شئت أنت أو أبيت سأظل أحبك لآخرة قطرة دم تسري في جسدي ووتيني

سأظل أحبك لأخر نفس أتنفسه.

سأظل أحبك لآخر دقة في قلبي. نعم سأظل أحبك ما دامت الحياة باقية.

آه. يا من أسرتني بنظرات عينيك البنتين ووجهك الذي يحمل بين ملامحه صفاء السماء وصلابة الأرض.

آه. لو أعرف تلك المرأة التي أخذتك بكل كيانك بعيداً عني! آه لو أعرفها لكنت مزقتها إرباً بأسناني والتهمتها كما يلتهم الأسد فريسته.

آه. آه. ويحك يا قلبي فأنا أخشى أن ألقاها فأصبح أسيرة لها، فأنا أعلم يقيناً أنها فتاة رائعة الجمال. أعلم أنها فتاة ذات خلق ودين. أعلم أنها ذات حسب ونسب! نعم أعلم أنها هذا وذاك بل أكثر

من مجرد فتاة فربما هي ملاك في دنيا البشر. فهل يحب ويعشق من هو مثل عبد الرحمن إلا ملاك يسعى بين البشر!

آه. سوف أحضر إليك بعد أن تنصرف العمال جميعاً من البيت، نعم سوف آتي إليك عندما تكون وحدك!

وويلاً لك إن لم تمتثل لرغباتي المجنونة. ويلاً لك إن لم تقبل حبي وعشقي وشوقي إليك.

فاحذر أيها الفرعون من كيد النساء العاشقات المجنونات بالحب والهوى.

أولم تعلم ماذا فعلت امرأة العزيز بنبي الله يوسف عليه السلام

احذر ثم احذر فقد استعظم الله عز وجل كيد النساء وقال:

(فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ(١)) مرت الساعات وانقضت بعد أن وهن جسدي من كثرة الانتظار.

وأخيراً ها هي عقارب الساعة تشير إلى الخامسة مساء موعد انصراف العمال من صحبتك ويتركونك الآن وحيدا بلا رفيق أو صديق!

نعم يتركونك فريسة سهلة المنال لامرأة عاشقة زادها الشوق

---

(١) سورة يوسف (٢٨)

جنون. تسللت من المنزل في خفة ورشاقة ظناً مني أنهم نيام عن أفعالي الشيطانية.. وكانت المفاجأة التي جعلتني أترنح كمن أسكرته الخمر وأصبح كالمجنون.

عندما سمعت صوت أمي يهز كياني بل يهز البيت هزاً وكأنه زلزال، اخترق صوتها أذناي، لا بل اخترق عظامي قبل لحمي، هز كل وجداني المنبثقة منه الأحلام والأماني نادت قائلة؟ رغد! إلى أين تتسللين أيتها الأنثى الشقية اللئيمة!؟

فتلعثمت كلماتي وتبددت طموحاتي ااان..انا انا..

لست ذاهبة إلى أي مكان يا أمي:

ولكن الأم نظرت إليها وقد احمرت عينيها الزرقاوين ثم قالت:

هل تظنين أنني سوف أصدق كلمة مما قلتها أيتها العنيدة الصلبة كصلابة الأرض والصخور؟

صدقيني يا أمي فأنا لن أذهب إلى أي مكان بعيداً كان أو قريب.. ورغم محاولاتي الفاشلة لم أستطيع إقناعها فنظرت إليَ بوجهها المتجهم غضباً ثم أمسكتني من منكباي..

هزتني هزات عنيفة وهي تقول بصوتاً غليظ لم أعهده منها من قبل:

تكلمي فأنا لن أدعكِ قبل أن أسمع منكِ الصدق.

فعلمت أنني هالكة ولن أستطيع الكذب على هذه المرأة المتنمرة.. ولا منجى لي منها إلا بالصدق.

فنظرت إليها بعيني الدامعتين. وهمست إليها بهمسات متهاوية وقلباً محطم كالزجاج..

همهمت بداخلي ي وهن وعجز.. أمي كيف أشرح لكِ إحساسي.

كيف أصف لكِ مشاعري المؤججة بداخلي..

ساد الصمت وانسابت من العينين دموع تجري كالأنهار، ثم تنهدت تنهيدة أشعلت الجو من حولنا نارا، وهنا قررت أن أتكلم وأفصح عن مكنونات قلبي ودقات فؤادي..

أردفت إليها قائلة:

أمي إني ذاهبة إلى عبد الرحمن.. نعم يا أمي ذاهبة إليه كي أصارحه بحبي وعشقي وهيامي به منذ أن رأيته في اللحظة الأولى التي وقعت عليه عيناي لأول مرة!

فأنا يا أمي الحبيبة مريضة به.. نعم مريضة بحبه مريضة بالشوق إليه مريضة به. فهو دوائي وشفائي

فهل ستمنعينني عنه أم ستدعينني أذهب إليه!؟

نظرت لي أمي ثم قالت:

حبيبتي لن أمنعك عنه أبداً فأنا لا أخشي عليكِ منه اذهبي يا قرة عيني وثمرة فؤادي، ولكن إياكِ والغضب وغيرة النساء، فأنا مشفقة عليكِ فتبدلت دموعي إلى ابتسامات وغرقت في أحضان أمي وغمرتها بالقبلات ثم أسرعت بالخطى ذاهبة إلى المكان الذي يسكن فيه حبيبي، وكانت المفاجأة عندما رأيته يقف أمامي.. همست قائلة:

عبد الرحمن!

فرد في دهشة قائلاً:

رغد!

ماذا تفعلين هنا يا عزيزتي!؟

ماذا أصاب عينيكَ الجميلة!؟

فاستطرد قائلة:

آه. ماذا أقول لك!

أو لم تعلم حقاً ماذا أفعل هنا!؟

أولم تعلم أنك سر عذابي وسبب دموعي وآهاتي!؟ لماذا تبتسم لي؟ وما هو السحر الذي تضعه في هذه الابتسامة العذبة والوجه المشرق، فقد بدلت ابتسامتك النار المؤججة بداخلي إلى ماء بارد

كالثلج.

اسمع يا عبد الرحمن لقد جئت هنا كي أعترف لك بحبي وعشقي وشوقي إليك. نعم لقد تنازلت عن كل كبرياء الأنثى وغرور الجميلات وجئت أبوح لكِ بمكنونات قلبي العاشق.. فويلاً لك إن رفضت حبي.. سأشق ثيابي وأملأ الدنيا صراخ وضجيج حتى يأتي والدي وتتجمع الناس من كل فج عميق وأخبرهم بأنك قد اعتديت على شرفي وعرضي..

فأردف عبد الرحمن قائلاً:

لا. لن تلجئي إلى مثل هذه الحيلة البشعة.

تعالي يا عزيزتي الغالية..

تعالي اجلسي بجواري واسمعي كلماتي التي تمنيت أن أقولها لكِ منذ أن رأيتك أول مرة وكنت أختلس النظرات إليكِ..

نعم عزيزتي اجلسي ودعي كل هذه الغيرة القاتلة الفتاكة، دعي هذا الانتقام المهلك.

عزيزتي.. لن أكذب عليكِ فأنتِ صافية القلب كصفاء الماء والسماء. أنتِ حلم كل الرجال. ولكن صدقيني يا عزيزتي إن تزوجتك لن تشعرين يوما بالسعادة، فأنا لا أستطيع إسعادك ولا إسعاد غيرك. فهل يستطيع إنسان عجز عن إسعاد نفسه أن

يسعد غيره!؟

فأردفت رغد قائلة:

لا. لا تقول هذا الكلام فأنا أعلم الناس بأين تكمن سعادتي، نعم سعادتي هي أن أكون معك أنت.

فابتسم لها قائلاً:

تمهلي يا عزيزتي ودعيني أكمل لكِ الحديث وبعدها قولي لي ما عندك، صدقيني إن تزوجتك ستشعرين أنني بارد الإحساس جف المشاعر فأنا منذ وقت طويل أحببت فتاة ولم أتخيل حياتي يوماً بدونها

نعم أحببتها وما زلت أحبها بل وسأظل إلى الأبد أحبها.

فأنا أعلم معاناتك وأشعر بعذابك، ولكن إن مات الطفل وهو رضيع فلن يكون الحزن عليه مثلما إن مات وهو شاب قوياً فتي.

عزيزتي. كل ما أستطيع قوله لكِ أن الفتاة التي أحببتها وما زلت أحبها قد تزوجت بل وأنجبت ورغم هذا ما زلت أحبها. فأنا سبب معاناتها ولن أكون سبب في معاناة فتاة أخرىَ، نعم عزيزتي، كانت تشبهك كثيرا. تشبهك في رقتها وإحساسها الدافئ، كان وجهها كالقمر!

وعينيها صافية كالسماء الخالية من السحب والغيوم، رقيقة

كالفراشة. عذبة كعذوبة أمطار الصيف، أحببتها وإلىَ الآن ما زلت أحيا بذكرى حبها. أشتاق إليها فأبحث بداخلي عن ذكريات الماضي الجميل..

ألملم بقايا الكلمات الأخيرة كي أستمد منها القوة والحياة.

عزيزتي لا تحقدي يوماً عليَ ولا تكرهينني ولكن اجعلي حبك لي مصدر قوتك وسر عزيمتك، ربما سنفترق اليوم ولن نلتقي من جديد، فاذكريني.

نعم اذكريني أخاً لكِ يتمنى أن يراكِ أسعد الناس، اعلمي يا عزيزتي إن عاد الزمان بنا يوماً لن أحب.. آه. لن أحب إلا.. نعم لن أحب إلا تلك الفتاة وأختارك أنتِ أختاً لنا. سامحيني فأنا أعلم الجرح الذي سببته لكِ، لكنني لا أملك حيلة فيما يحتويه قلبي من حب لتلك الفتاة..

تنهدت رغد قائلة:

آه يا عبد الرحمن، لقد جئت إليك والنار بداخلي مؤججة والانتقام يحتويني، جئت إليك وأنا أسأل نفسي:

من ذاك الرجل الذي يستطيع أن يرفض حبي له وشوقي إليه!؟ جئت إليك وأنا أقول في نفسي:

من أنت لترفض رغد!

نعم رغد حلم كثيراً من الرجال لا بل حلم كل الرجال. وعندما أمسكت يدي وأجلستني بالقرب منك ونظرت في عينيك فوجدت الدموع تملئها والحزن يكسوا ملامح وجهك علمت أنني خاسرة ما جئت أناضل من أجله.

نعم خاسرة حبك الذي بت أحلم به كل ليلة منذ أن رأيتك.

ولكن؟ رغم خسارتي، فقد علمتني الكثير والكثير، علمتني أن القلب الذي يستطيع أن يحب لا يستطيع أن يكره يوماً، علمتني أن القلب لا يستطيع أن يجمع بين الحب والكراهية أبدا.

وقد جعلتني في قمة الشوق لرؤية تلك الفتاة

أريد أن أسألها لماذا تركتك وتزوجت بغيرك؟

هل يحبها هذا الكيوبيد مثلما أحببتها وتحبها أنت!؟ أريد أن أقول لها تلك الكلمات لعلها تقرئها يوما، أنتِ الخاسرة أيتها الفتاة المسكينة.. فلو أحبني هذا الرجل بقدر ضئيل من حبه لكِ لتخليت عن كل شيء ولحقت به أينما كان. ارحل. ارحل يا عبد الرحمن ولكنني لن أنساك يوما.. وسأروي قصة حبك لكل من حولي حتى يتعلمون منك معنى الوفاء، ارحل فربما نلتقي يوماً وأشير إليك بإصبعي ويدي المرتعشة قائلة:

هذا هو. نعم هذا هو الفرعون الذي سرق قلبي.

رسالة إلى حبيبتي

عزيزتي.

ترى هل أنتِ هنا معي أم أن هذا إحساس خادع كذاب، فإن كنتِ معي فاعلمي أن القدر هو من جمعنا وجعلنا نلتقي سويا، وإن لم تكوني معي فاعلمي أنني قد أخطأت وخانني إحساسي، فأنا أشعر الآن بوجودك أكثر من أي وقت مضى

وإن لم تجيبي الآن فاعلمي أننا قد افترقنا قبل أن نلتقي، وهنا سمعت النداء وعلمت أن إحساسي لم يخونني، فقلت بكلماتي الحزينة اليائسة، قولي كل ما لديك فربما تكون هذه الليلة هي الليلة الأخيرة وكنت أعنى كل كلمة أقولها، فسألتني أنتِ عن معني كلماتي. فأجبتك وطلبت منك أن تفكري مليا في هذه الكلمات وتحاولي أن تعرفي ما بداخلها من أسرار وألم وجروح!

فأنتِ من أيقظت بداخلي إحساس ظننت أنه قد مات واندثر منذ زمن بعيد.

عزيزتي.. إن كان من مخطئ بيننا فهو أنا وعلى المخطئ دوماً أن يتحمل نتيجة خطأه أياً كان، فأنا إلى الآن لم أعرف ملامح وجه من أحادثها ولكن كل ما لدي هي صورة محفورة في قلب قلبي وهذا يكفيني وعزائي الوحيد هو أن أسمع عنكِ كل خير، فأنتِ

كما أراكِ وسأظل أراكِ دائما أجمل ما حلمت به يوما ولكن؟

اعلمي يقينا أنه قد كذب من قال بأن القلب لا يحب إلا مرة واحدة، فالقلب عزيزتي قادر أن يحب ما دام به نبض وإحساس، فأنا أحادثك الآن وأصابعي مرتعشة ودقات قلبي في تزايد دون نقصان. وعيناي تنظر في أرجاء الغرفة وكأنك تطوفين حولي بأجنحة من نور، أشعر بوجودك معي. أشعر بأنفاسك الدافئة المطمئنة!

أشعر وكأنك تحتويني وتواريني عن أعين كل الناظرين لي. آه عزيزتي من لوعة الشوق وحرقة الآهات، عذراً يا من أخرجتني من أطلال الماضي وألقيتني في بئر الأسى والشوق، فهذا كل ما أستطيع قوله الآن أو كما قلت لكِ سالفاً، ربما تكون هذه الليلة هي الليلة الأخيرة وأتمنى أن أترك لكِ ذكرىَ جميلة تظلين دوماً تتذكرينها لي، فأنا لم أتخيل يوماً أن ألمس قلبك بكلماتي دون أن أسكن بداخله متمنيا لكِ دوام الصحة والعافية والتوفيق في كل ما يحبه الله لكِ ويرضاه، وكما قلت لكِ وسأظل أقولها دوماً، سلمي قلبك لمن يستحقه فربما لم أكن أنا هذا الرجل..

اسعدي بحياتك واهنئي! فأنا لم أكن يوماً بجوارك ولم أدخل حياتك الهادئة كي أغيرها أو أسعد بألآمك وجروحك، ولكنني كنت دوماً أعشق ابتسامتك ورقة مشاعرك التي لم أراها يوما إلا عبر هذا الجهاز الأصم الأعمى.. اعذريني عزيزتي لقد انتهيت

وسامحيني فقد خرجت هذه الكلمات دون إرادتي واعلمي أن أجمل ما في الحب، هو عذابه ولوعته وشوق المحب لحبيبه. ولكن؟

دعيني أرى ابتسامتك التي أشتهيها وأعشقها! فأين هي؟ هيا. هيا ارسميها على شفتيك ثم أرسليها لي كي أسعد بها وأحيا بذكراها، عزيزتي إن كنتِ تدمعين فامسحي الدموع من فوق الخدود، فإن دموعك غالية على قلبي

كغلاء الذهب عند النساء! عصفورتي. تذكري دوماً أنه لا يحق لأحد مناداتك بهذا الاسم الذي طالما ناديتك به إلا أنا، سامحيني إن كنت قد آلمتك بكلماتي الواهنة العقيمة

انتهيت

نبض الكلمات

شيء بداخلي يتمزق. لا أدرى لماذا أشعر بهذا الشعور الغريب. لا أعلم لماذا هذا الإحساس الخانق، أسير دون هدى..

أقدامي تندفع دون إرادتي وكأني أبحث عن شيء قد اندثر منذ زمن بعيد! ولكــن؟

ترى ما هو هذا الشيء الذي أبحث عنه؟

لماذا أرى هذه الرؤى في النوم واليقظة؟

لماذا أرى الأشياء وكأنني قد رأيتها في زمن غير الزمن؟ لماذا أرى الدنيا مظلمة رغم سطوع الشمس في كبد السماء؟ آه. آه من كثرة الألم وطول الانتظار! آه من سراب العمر الذي ولى وانقضى، آه من شبح الماضي وجنون المجهول..

آه يا قلبي الحائر. أما زلت تعاني؟ تتألم دوماً في صمت رهيب؟ أما زلت تحيا على ذكرى الماضي البعيد؟ آه يا قلبي. أراك ما زلت جالسا على أطلال العمر الذي ولى مستسلماً لشبح الهجر والضياع..

هيا يا قلبي انهض ودع الذكريات وراء ظهرك، اجعلها من مدخرات العمر الثمين، نعم اجعل الذكرى هكذا جبلاً لا يقهره الزمن ولا

يعرف المستحيل! اجعلها مرجعاً تعود إليه من آن إلى أخر.

نعم تعود إليها كي تستمد منها العزم والقوة. تستمد منها القدرة على الحياة من جديد، لا تجعل الذكرى تحطم الأمل بداخلك. بل اجعلها هي من تدفعك للأمام.. اجعلها تصنع منك رجلاً ناجحاً منتصراً على كل ما مضى..

آه يا قلبي هل نسيت كتاباتك الأدبية، فكم كنا نحلم سويا أن نصبح من أشهر الكتاب، هل نسيت آخر لقاء جمع بينك وبين من تحبها وتهواها..

لا. لا لم أنسى. لم أنسى كلمة خرجت من بين شفتيها الجميلة، لم أنسى لحظات اللقاء الذي أسعد قلبينا. آه إنني أصعد درجات السلم، أشعر وكأن قلبي سوف يقفز من بين قضبان صدري، ها أنا الآن واقفاً أمام الباب منتظراً أن تفتحي لي، وتستقبليني بالبسمة الرقيقة التي تملأ الدنيا أريج وعطر جميل! وحين غفلة كانت المفاجأة التي جعلتني أترنح كالسكران

فاغرورقت عيناي بالدموع والألم الذي يقطع أحشائي، فأنا أعلم أنكِ مريضة طريحة الفراش وكم أرسلت لي طالبة رؤيتي. وبجهلي وغطرستي لم أحضر إليكِ، آه أرجو أن تسامحيني وتمنحيني الفرصة كي اثبت لكِ حبي وشوقي وهيامي، آه مال أقدامي تتهاوى، وجسدي يتمايل إلى الأرض

وحين غفلة مني وجدت يداً حنونة تمتد نحوي كي تلتقطني قبل أن أسقط أرضاً..

نظرت إليها أتبين ملامح الوجه الغير واضح فعيناي لم تعد ترى شيء من كثرة الدمع فيها، إنها أمها. نعم أمها التي أحبها كحبي لأمي، تعلقت بيدها ورفعت عيناي الدامعتان إليها متلعثما أترجى الله عز وجل ألا تنطق كلمة تقتلني وتمزق قلبي الذي لم يعد يقوى على تحمل التعب والنصب.. ولكن؟ إن تكلمت أو لم تتكلم فأنا الآن ميتاً لا مجال للشك. فوضعت يدها على كتفي، ثم ابتسمت لي ابتسامة يملأها الحزن والأسى، ثم قالت:

لما الدموع يا ولدي؟ نظرت إليها وكأن جبلاً ثقيلاً فوق صدري، استمرت في حديثها لي قائلة وهي تشير بيدها إلى إحدى الغرف:

ادخل لها يا ولدي فهي مستغرقة في نوم عميق من شدة المرض، ادخل لها فأنا أعلم يقيناً أنها إن شعرت بك وأحست بوجودك فسوف تنتصر على المرض وتستعيد قوتها وعافيتها من جديد..

وهنا بدأت أحدث نفسي قائلاً:

عجباً لهؤلاء البشر وأفعالهم، فهم يعلمون يقيناً أنها سر حياتي وروحي، يعلمون أنها أملي وحبي ودقات قلبي، يعلمون أنها نفسي وذاتي بل كل كياني!

نعم كل كياني فهي تحتويني حتى النخاع، آه عجباً لهم حقاً، فهم

يعلمون أنني الدواء الذي يشفي كل سقمها وألمها! يعلمون أنني لها الروح والفؤاد والأمل، ورغم هذا فقد وافقوا على خطبتها من رجلاً أخر، بدأت أسير في الطرقة الصغيرة المؤدية إلى غرفتها.. أسير وكأنني أعبر طريق لا أخر له، وأخيراً وبعد عذاب مضني وألم لا يحتمل وصلت إليها، واقفاً أمامها. أتأملها وهي نائمة على السرير غارقة في كم هائل من الغطاء الثقيل..

بدأت أنظر إليها. أتأملها برهة بعد أخرى، نعم أتأمل وجهها الشاحب بعد أن كان مثل القمر المنير في كبد السماء..

أتأمل جسدها النحيل التائه بين طيات الغطاء، وهنا بدأت أهمس بكلمات دفينة بين دقات قلبي، آه. آه حبيبتي كم أتعذب من أجلك.. كم يتمزق قلبي لرؤيتك هكذا، أسيرة المرض طريحة الفراش، وكيف لا أتعذب لأجلك، وأنتِ قلبي النابض، شفتاي الهامستان! حبيبتي. نعم حبيبتي خذي قلبي وروحي. خذي دمي وكل قوتي. خذي كل ما تشائين ولكن؟

آه. نعم خذي كل ما أملك من القوة والحياة، ولكن انهضي، قاومي هذا المرض وانتصري عليه، هيا حبيبتي أتركِ هذا الفراش اللعين، دعيه وابتعدي بعيداً عنه، هيا حبيبتي قومي. قفي على قدميك، دعيني أراكِ كما كنت أراكِ من ذي قبل، دعيني أراكِ فراشة تملؤها السعادة والبهجة والنشاط، آه ماذا أفعل كي أجعلك تشعرين بوجودي؟

ماذا أفعل كي تعلمين أنني بجانبك؟

آه سوف أفعل ما كنت أفعله منذ زمن بعيد! سوف أفعل ما كنت أفعله ونحن جالسان سوياً وأراكِ سارحة في بحر من الخيال!

نعم سوف أفعل ما كنت دائما أفعله عندما أراكِ تفكرين في شيء تريدين إخفائه عني حتى لا تجعلينني أفكر فيه وأنشغل به، مدت يدي نحو وجهك الصغير من أثر المرض، أمسكت أنفك الصغير بين إصبعيا وبدأت أهز وجهك يميناً ويساراً وأنا أردد قولي المعهود، حبيبتي. روحي. أملي. قلبي النابض بين ضلوعي. نفسي وكل ذاتي، بسم الحب الذي جمع بيننا.

بسم قلبي وقلبك. بسم الفؤاد ونشوته، بسم كل شيء جميل يجمع بيننا، بسم كل كلمة حب نظم بها الشعراء دواوينهم.

آه كيف لي أن أقول كل هذه الكلمات؟ لا بل بسم كل كلمة في كتاب الله عز وجل انهضي.

آه. ويحك يا قلبي كفىّ خفقان وخوف فهي تسمع دقاتك. تسمع همساتك وآهاتك الملتاعة، آه لماذا العين تدمع، ويداي ترتعشان؟ أهو الفراق!؟

لا. لا لن يكون الفراق، فالفراق هو موتي قبل موتك، حبيبتي خذي قلبي النابض بين ضلوعي، خذيه وهيا انهضي من هذا المرقد اللعين! خذي روحي. نعم خذيها فأنتِ روحي. أنتِ دمي

الجاري في كل أوردتي وشراييني، أنتِ الوفاء. أنتِ الصفاء. أنتِ النقاء. أنتِ أجمل حب. بل أنتِ أجمل ما في حياتي البائسة الكئيبة، يا رب. يا من تقدر ولا نقدر اعفها واعفوا عنها، رد إليها عافيتها واحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، يا رب ردها لي. رد لها الحياة وإن لم تكن لي!

فسعادتي بسعادتها، هيا. هيا يا حبيبتي افتحي العينان كي ترينني، هيا يا كل العمر والفؤاد أشعري بوجودي، آه إنكِ تبتسمين وكأنكِ تسمعينني..

نعم أسمعك منذ حضورك لي، بل أسمعك من قبل أن تحضر بكثير! فهل نسيت أننا قلب واحد؟

هل نسيت أننا روح واحدة يحيا بها الجسدان؟ لا لم أنسى يوماً

ولكن؟ هيا انهضي. دعي هذا الغطاء السقيم، هيا قفي على قدميك. امسكي بيدي كي نسير إلى المكان الذي اشتقت إلى الجلوس فيه، نعم اشتقت إلى الجلوس فيه بجوارك. آه. أشعر بأن أقدامي هزيلة لا تقوى على حملي، آه. ما هذا؟ أشعر بان تيار كهربائي يسري في كل جسدي عندما أمسكت يدك!! آه. ما هذا النشاط المفاجئ؟ ما هذه الحيوية، وكأنني لم أمرض من ذي قبل! هيا ابتسمي حتى يمتلئ البيت بهجة وسعادة

أتعلم. أتعلم يا حبيبي. بل يا قلبي وعمري، أشعر أنني مريضة

جداً، نعم مريضة بك أنت. أنت دائي ودوائي.

فعندما تغيب يوماً عني ويمر بدون أن أراك أشعر بأن قوتي قد تهاوت وتبعثرت مني! فيا روح الروح. يا قلب القلب وحبل الوريد. لا تغيب عني.

لا تدع النسيان ينسيك حبي. آه. كيف لي حبيبتي أن أغيب عنك؟ كيف لي أن أنسى نفسي وقلبي النابض بداخلي؟ فيا كل العمر، وأجمل السنين. أنني أغيب عنك بالقرب منك. وأقترب منك بالبعد عنك، أحاول نسيانك فأذكرك.

فكيف لي أن يمتلئ قلبي قسوة وجحود ويطفئ النور الذي يملأ حياتي ويبث الأمل بداخلي من جديد، فيا زهرة حبي، وبستان قلبي، وروضة حياتي، لا تخافي ولا تحزني، دعي الحزن واليأس جففي من العين دموعها، تمايلي كزهور النرجس والريحان فرحاً بقطرات الندى.

تراقصي كالأشجار عندما يداعب الهواء أغصانها، آه حبيبي كم أشتاق إليك، كم كنت أحلم بك. أراك تبتسم لي ابتسامة تملأ حياتي سعادة وهناء، كم كنت أناجيك وأنا في خلوتي بعيدة عن أعين أبي وأمي وإخوتي بعيدة عن كل البشر، كم كنت أكتب لك كلمات رقيقة بجوار القمر أرسمها بعيني. أملاؤها بدقات قلبي.

نعم حبيبي. كنت أرسلها إليك وأنا على يقين بأنك سوف تراها

ولن يراها أحداً سواك، كنت أعلم بأنك سوف تشعر بدقات قلبي، كنت أعلم بأنك سوف تشعر بنبض الكلمات التي كتبتها لك، نعم كتبتها لك أنت. كتبتها لقلبك الذي جعلته سكناً لي أعواماً كثيرة مرة وأعوام كثيرة قادمة، بل جعلته سكناً لي على مر السنين وطول الزمن.

آه حبيبتي.. لقد مر الوقت سريعاً، وها هو الظهر يأذن فلابد لي من الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة، نعم حبيبي.

اذهب للصلاة، ولكــن؟ لابد وأن تعود.

فأنا سوف أصلي وأنتظرك حتى تأتي كي نأكل سوياً. فأنا أشعر بالجوع الشديد فلا تجعل الانتظار يطول.. فإن لم تحضر إليَ لن أتذوق الطعام قد، فها هو الأمر بين يديك ففعل ما تشاء..

آه حبيبتي، أنتِ أدرى بما أشاء مني. فانتِ كل ما أريد أنتِ قلبي ووتيني. أنتِ كل ما أحلم به، فكيف لي أن أذهب عنكِ ولن أعود؟ إن شاء الله سوف أقضي الصلاة ثم أحضر إليكِ على الفور، فذهبت إلى المسجد، وصليت أربع ركعات سنة قبل الفريضة. ثم صليت الفريضة ثم سبحت الله ثلاثة وثلاثون وحمدت الله مثلها وكبرت مثلهما ثم أتممت المائة بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم صليت أربع ركعات بعدها إيماناً بحديث رسول الله صل الله عليه وسلم، من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربعة بعده حرم الله بدنه على النار.

صدق رسول الله صل الله عليه وسلم.

ثم اتجهت عائداً إليها، أمشي رويداً رويدا، أفكر فيما أفعله ترى هل هذا صواب أم خطأ..

وأخيرا ها أنا قد وصلت إليها، يا الله. ما هذا؟ لمن كل هذا الطعام الكثير.. فتنهدت. وابتسمت ثم قالت:

لي أنا! وأنت معي ولكـن؟

احذر فقد أقسمت أمي إن عاد شيء من هذا الطعام سوف تبرحنا ضرباً بالعصا والكفوف فانظر حبيبي ماذا ترى..

آه. سوف أنسحب في هدوء دون أن تراني أو تشعر بي. نعم سوف أهرب وأدعكِ أنتِ تسعدي وتهنئي بضرب العصا والكفوف وحدك.. نظرت لي وقد رسمت ابتسامة على محياها، فسألتها قائلاً:

لماذا تبتسمين؟ أتعتقدين أنني أمزح!؟

فاستطردت قائلة:

لا. لا يا كل العمر وأجمل سنين حياتي فأنا أعلم تمام العلم أنني لن أهون عليك يوما!

نعم أعلم أنك لن تدعني يوماً وترحل عني، فأنا بداخلك أسرى في

دمك كما أنت بداخلي تسري في دمي. تجري في شراييني وأوردتي كما أجري في شراييننك وأوردتك..

فكيف ترحل عني أو أرحل عنك؟

آه حبيبتي. لقد هزمتني وتغلبتِ عليا بكلامك العذب الساحر الجميل ولكن؟ انظري إلى كل من حولنا فهم ينظرون إلينا مبتسمين تملأ وجوههم الدهشة، ترى ماذا يقولون عنا؟ لا تعجب يا منية الروح والفؤاد، فأنا أعلم ماذا يقولون.. فإنهم يقولون جسدان وروح واحدة قلب واحد ينبض في كلا الجسدان، هكذا تقول الناس جميعاً عني أنا وأنت.. تهمس بها أمي دوماً تعتقد أنني لم أسمعها، تجهل أنني أسمع همساتها وأنين صدرها.

كما تسمع هي الأخرى همساتِ وأنين صدري. هيا يا قلب قلبي نأكل. أطعمني بيديك.

دعني أتذوق لذة الطعام عندما التقطه من بين أصابعك ولتتذوق لذته من بين أناملي المشتاقة للمسة شفتيك..

بدأت أقطع لها اللحم قطع صغيرة وأضعها في فمها الصغير وأنا أداعب شفتيها بقطعة اللحم. وسعت ابتسامتها وأشرق نور وجهها من جديد.. مر الوقت سريعاً فهمست لها قائلاً:

آه حبيبتي. الوقت الجميل يمر سريعاً دون أن نشعر به، وها هو العصر يعلن عن نفسه ونادى المنادي فهل من مجيب، نعم. نعم

حبيبي أذن العصر. فلا تكمل، فأنا أعلم ما سوف تقول. هيا. هيا اذهب إلى الصلاة

اذهب. نعم اذهب ولكــن؟ على وعد بأنك سوف تعود سريعاً دون تأخير..

نعم لابد من الوعد بالعودة بعد أن تؤدي الصلاة، فأنا دائماً في انتظار اللقاء وقت اللقاء.

دائما في شوق إليك. ولا أستطيع أن أمنعك من الذهاب إلى المسجد فاذهب إلى الصلاة. وادعوا لي بما يحلو لك، بل ادعوا لنا أنا.. وأنت

واجعل لكل المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها نصيباً من دعائك، فلا تستأثر به لنا آه. لماذا الدموع حبيبتي فإن شاء الله لن نفترق بعد اليوم. سأظل بجانبك ما دمت حياً. سأقاتل من أجل حبك، ستبقى بجانبي. بل ستبقي بداخل قلب قلبي.

فهمست قائلة:

إذا هيا إلى الصلاة، فأنا سوف أصلي وأجلس في انتظارك حتى تعود، فأنا ما زلت أشتهي الحديث معك. اذهب ولا تتأخر..

بعد أن نزل سعيد وقفت أترقب خطاه حتى اختفت خطاه بين

الثرى.. دخلت توضأت وصليت ثم جلست وحيدة في نفس المكان أنتظر عودته لي. طال الانتظار فبدأت أحدث نفسي قائلة:

آه. لقد مر الوقت وانقضت الصلاة فلماذا لم يعود حتى الآن؟ هل نسي الوعد الذي قطعه على نفسه قبل أن يذهب إلى المسجد؟

لا. لم ينسى فربما تشاجر أحد أمامه وجلس يصلح بينهما فهو يعشق الصلح بين الناس. أم ترى ما الذي منعه عني؟ أشعر بأن شيء قد حدث!!

آه. ترى لماذا الناس تتجه مسرعة إلى المسجد؟ لا. لا. لم أعد أحتمل الانتظار، سوف أسأل هذا الرجل الكبير المسن حتى يطمئن قلبي، نعم. نعم سوف أنادي عليه فأنا أعرفه وأعرف طيب مجلسه

إنه عم عبد الرحمن، سوف أنادي عليه وأسأله. فوقفت مستندة على درابزين البلكونة.

ثم ناديت قائلة:

عم عبد الرحمن، عم عبد الرحمن..

فالتفت نحوي ثم قال:

نعم يا ابنتي.

لماذا تهرولون إلى المسجد هكذا هل حدث مكروه لأحد؟

رفع عيناه نحوي فإذا بالدموع تملؤها ثم همهم بكلمات أكاد أسمعها قائلاً:

آه يا بنيتي ماذا أقول لكِ؟ وبعد برهة من الحيرة والتردد، نطق بها لسانه فوقعت على قلبي كالصاعقة أو أشد وطئه، قالها والدمع يتساقط من عينيه الذابلتان. قالها بلعثمة وقشعريرة.. قالها وبدأ يهرول في اتجاه المسجد.. قد مات سعيد.. مات في المسجد. مات في سجوده بين يدي الله عز وجل.

مات وهو مطيعاً لله، انتشر الخبر في كل أنحاء البلدة في لمح البصر، وهنا بدأت أكلم نفسي كالمجنونة..

أهمهم بكلمات متلعثمة مريرة، م م اااا ت س س عيد. مات سعيد!؟ كيف مات فهو كان معي منذ قليل متلهف لحديثي مثلما أنا متلهفة لحديثه!

كان جالساً بجواري. كان يحدثني.. كان يقول لي لن نفترق بعد اليوم.. كان يقول سوف أُقاتل من أجل حبك، آه.

ترى ماذا كان يقصد بهذه الكلمات التي سأذكرها ما دمت حية، هل ستظل روحة حاضرة معي. بجانبي ترعاني وتسهر على راحتي؟ الدمع ينهمر كالأمطار. نوبات هستيرية تنتابني، وفجأة جرت على لساني كلمات وكأنني أتمنى لو كنت مكانه، هنيئاً له بهذه

الموتة فمن مات على شيء بعث عليه، وكيف لا وهو مات مسالماً. مطيعاً لربه واصل رحمه، هنيئاً لك يا حبيبي، هنيئاً لك بلقاء الأحبة. محمد صل الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً. سوف أقرأ لك ما تيسر من القرآن الكريم لعل الله يتقبل مني ويرحمك ويرفع درجاتك في الجنة..

أحضرت المصحف وفتحته على سورة الفجر، وبدأت أقرأ وأرتل حتى وصلت إلى الآية السابعة والعشرين (يا أيتها النفس المطمئنة) فاغرورقت عيناي بالدمع فبدأت أبكي بكاء شديد حتى جفت من عيني الدموع، فرفعت عيني أنظر حولي واستجمع قواي، فوجدت أمي واقفة أمامي تبكي بكاء لم أراه من قبل، نظرت لي وأخذت رأسي بين حنايا صدرها وهي تحدثني قائلة:

نعم اقرئي له يا بنيتي فهو يستحق هذا منك ومنا جميعاً، اقرئي واطلبي له الرحمة والغفران، فبدأت أكمل والدموع تنهمر من عيني أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيتها النفس المطمئنة(١) ارجعي إلى ربك راضية مرضية*فدخلي في عبادي *وادخلي جنتي*

صدق الله العظيم..

---

(١) **سورة الفجر ٢٧- ٢٨- ٢٩- ٣٠**

ثم أغلقت المصحف وقربته إلى صدري فشعرت براحة لم أشعر بها من ذي قبل، شعرت بأنني في عالم غير العالم، عالم لا يعرف الظلم ولا الطغيان أسنت ظهري في راحة على الكرسي وفي حين غفوة. صرخت أمي صرخات مدوية عندما وجدتني أترنح على الأرض مبتسمة..

صرخت قائلة:

بنيتي. قرة عيني. ما بك يا حبيبتي ووتيني

أجيبيني كي يستريح قلبي، بنيتي. بنيتي. آه فنادىَ أبي متسائلاً:

ما بك يا أم رقية؟

لقد سقطت ابنتنا وثمرة الفؤاد وهي لا تجيب فأسرع وأحضر لها الطبيب. أسرع يا أبا رقية فابنتي تضيع مني، فقد مات سر شفائها.. خرج أبي مسرعاً ووقفت أمي وإخوتي بجانبي..

بدأت كل الصور تتلاشى من عيني..

أم رقية.. يا أم رقية لقد أحضرت الطبيب. دخل الطبيب إليها مسرعاً.. فكانت المفاجأة عندما وضع السماعة فوق صدرها حتى يعرف الداء كي يداويها فمن يداوي الجراح غير من كان يداويها. نظر الطبيب إليهما وهو لا يجد كلمات تعبر عن ألمه وحزنه، تلعثمت كلماته وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون، ماتت

رقيه. ماتت وهي تحتضن كتاب الله عز وجل، ماتت كي يبر سعيد بوعده فهو لم يخلف وعده ذات يوم، ماتت كي لا يفترقا بعد اليوم..

فهمهمت الأم والدموع تنهمر على وجنتيها قائلة: قد اختارا اللقاء وقد اخترنا لهما الفراق، فمن يفرقهما بعد اليوم، وداعاً يا قرة العين وروح الفؤاد، خرجتا الجنازتان إلى المسجد كي يصلا عليهما صلاة الجنازة بعد صلاة العشاء.. خرج المشيعون من المسجد حاملين المحملين فوق الأعناق محمل سعيد يتقدم رقية ببضع خطوات، وها هما الآن في قلب المقابر، فوقف والد رقية والدموع تنهمر من عينيه وقد بللت لحيته، أخذ يهمهم وهو يشير بإصبعه إلى مكان فسيح بين إحدى القبور قائلاً:

هنا نحفر لحداً لسعيد وبجواره لحداً أخر لابنتي

فقد فرقنا بينهما في هذه الدنيا وقد آن الأوان كي يجتمعا من جديد فهكذا دفنا متجاورين، ولن يكون بينهما فراق بعد اليوم.

نعم لن يفترقا بعد اليوم، فهكذا كانت نبض الكلمات الأخيرة

لن نفترق بعد اليوم، وعادوا المشيعون إلى منازلهم وهم يبكون عليهما حزناً وحسرة وألم شديد. خيم الحزن على أهالي البلدة أياماً وشهور، فقد ألهب موتهما كل الصدور.

ثلاثة كلمات

ذات يوم جلست وحدي أفكر فيكِ. أراكِ في كل شيء حولي

أشعر بكِ بين جوانحي. بل ألمسك في أنفاسي الملتاعة وفي نبضات قلبي وخفقانه، ترىَ هل أصبحت أنا الآن المجنون لهذا الزمان، ألهث كالظمآن عندما رأى الثرى وحسبه ماء يروى به الظمأ القاتل، آه. شيء بداخلي يدفعني للقدوم إليكِ

ترى هل سأجدكِ في انتظار لقائي. أم سأعود محطم القلب والوجدان نادماً على عمري الذي ولىَ على أمل خادع كذاب

حبيبتي.! نعم حبيبتي رغم القسوة والجحود. حبيبتي رغم القوة والجبروت.

فأنا لا أعرف إلا كيف أحبك وأشتاق إليكِ،

لا أعرف سوىَ الانتظار في ربوع الماضي الأليم والحاضر الغض والمستقبل الذي لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه وتعالى

حبيبتي. هل ارتكبت جرم لا يغتفر حينما أحببتك وعشقت هواكِ؟ هل أذنبت عندما صارحتكِ بحبي وحنيني وغرامي لكِ في كل قصائدي ورواياتي؟ نعم حبيبتي فأنتِ كل قصائدي. بل أنتِ كل حروف كتاباتي، أنتِ بطلة كل رواياتي التي كتبتها وما زلت

اكتبها. بل أنتِ لي كل الحياة

حبيبتي. أنا لا أعرف سوى أن أكتب لكِ، لا أعرف سوى أن أحبك وأشتاق إليكِ، فإن كنتِ تعلمي كيف أنساكِ فقولي لي،

قولي لي كيف أنساكِ وأهرب من حبك، قولي لي كيف أقتلك في قلب قلبي!؟

آه. كم يراودني الحنين لرؤياكِ. بل كم أشتاق إلى سماع صوتك العذب الذي تعشقه أذناي، آه. كم أمسكت الهاتف وطلبت رقم المنزل على أمل أن تكوني في زيارة لبيت أبيكِ، وعندما أسمع رنين الهاتف يدق قلبي وتعلوا دقاته وكأنها طبول الحرب فأغلق الهاتف قبل أن يجيب أحداً.

أغلقه خوفاً من أن أسمع صوتك فتتوه كلماتي وتتبعثر بداخلي فأبدوا كالأبله المجنون الذي تاه العقل من بين جدران رأسه..

مرت الأيام وتراكمت حتى أصبحت أعوام وأعوام ومازال الحب ينمو بداخلي، وذات يوم. فتحت عيناي على رسالة دق بها صوت هاتفي المحمول، وكانت الرسالة تحتوي على ثلاثة كلمات وكأنها ثلاثة صفحات.

بل كأنها ثلاثة مراجع، يحتاج المرجع إلى أعوام كثيرة كي أتدبر ما فيه من حروف وكلمات.

آه. عندما فتحت الرسالة وقرأت ما تحتويه بين أحشائها المظلمة الكئيبة البائسة.

قولت في نفسي ترى ماذا أفعل بعد أن حولت هذه الكلمات الثلاثة حياتي إلى جحيم محرق، وجعلت حياتي كلها بحر من الألم والآهات والحزن والندم، نعم لقد أشعرتني هذه الكلمات بأنني لا فائدة من وجودي في هذه الحياة وتمنيت الموت حينها. وظللت أصرخ كالمجنون، أصرخ كالتائه في ظلمات البوادي التي لا حدود لها ولا شطآن..

حبيبتي. كم كنت أتمنى أن أكون بجوارِكِ في مثل هذا اليوم الكئيب المليء بالحزن والألم، كنت أتمنى أن أخذك بين ذراعي وأحتضنك بكل أحاسيسي وجوارحي، كنت أتمنى أن أرتمي فوق صدرك الرحب الحنون وأبكي بكاء شديد، بكاء لا يتوقف. وألم لا علاج له ولا شفاء منه، آه. أتُكتب النهاية قبل البداية؟

آه ويحك يا قلبي تمهل وتذكر قول الله عز وجل. أعوذ بالله من الشيطان الرجم. كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور(١)

فيا رب العالمين يا أرحم الراحمين

---

(١) سورة آل عمران ١٨٥

اجعل هذه النفس من النفوس الطيبة. اجعلها ممن يقال لها يا أيتها النفس الطيبة إخراجي إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان، اجعلها ممن يتلقاها ملائكة الرحمة ويفتح لها أبواب السماء، آه. يا قلبي على حر الفراق وألم البعاد، كلمات ثلاث تخبرني بأن والدك قد فارق الحياة الدنيا، وأنا أعلم علم اليقين كم تحبينه حب كثير.

حباً لا ينتهي لمجرد أنه مات نعم أعلم مدىّ حبك له، وربما لا يعلم أحداً غيري كم تحبيه وتقدسيه، فلقد ضحيتي بحبك.

بل بحياتك وسعادتك من أجل حبك له، ضحيتي بسعادتك ووافقتِ أن تتزوجين برجل لا مكان له في قلبك، رجلاً لا تكنين له أي أحاسيس أو مشاعر

وافقتِ من أجل إسعاد والدك ومكانته بين الناس، وها هو اليوم قد مات، نعم مات وتركك وحيدة تعيسة في الحياة التي اخترتها من أجله، حبيبتي. نعم حبيبتي فيما مضى. حبيبتي في الحاضر والمستقبل، اليوم أعلم مدىّ معاناتك وألمك

ولذلك كنت أتمنى أن أكون معكِ اليوم لأهون عليكِ ألم الفراق فأنا أعلم جيدا مدىّ كتمانك ألمك وحزنك بين دقات قلبك، أعلم يقيناً أنكِ لا تخرجين ما بين دقات قلبك إلا لي وحدي، فكم همستي لي بأشياء لا يعلمها أحداً في هذا الكون

من بعد الله عز وجل إلا أنا! فيا حبيبتي بل يا كل عمري وكياني..

لا تحزني ولا تدمعي فهذه هي الدنيا نأتي إليها ونحن نعلم يقيناً أننا تاركوها من وراء ظهورنا، نحيا فيها ونحن نعلم أننا ميتون، نحب ونحن نعلم أننا مفارقون من نحبهم ونعشق رؤياهم، حبيبتي.

هل مازال من حقي أن أناديكِ بحبيبتي!

لا يهمني الجواب. فكل ما يهمني أن أكون معكِ الآن بجوارك، نعم كنت أتمنى أن أكون بجوارك في مثل هذا اليوم كي أخفف عليكِ من ألم الفراق والندم، نعم فراق والدك الحبيب، والندم على حياتك التي اخترتها من أجل إسعاد والدك رغم تعاستك، ولكن هذه هي الدنيا قد فرقت بيننا وتباعدت المسافات والحدود أمامنا، ولكنني لا أملك سوىّ أن اذكرك بقول النبي صل الله عليه وسلم عندما مات ولده الحبيب إبراهيم (إن القلب ليحزن وأن العين لتدمع وأن على فراقك يا إبراهيم لمحزنون ولكننا لا نملك إلا أن نقول ما يرضي ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون.

فيا حبيبتي وكل كياني اجعلي الحزن حبيس بين دقات قلبك الكبير الذي ملئه الحب أعوام وأعوام، دعي الدموع تبلل خديك المشرقين ولكن؟ لا تدعيهما يسيطران عليكِ. فعيشي واسعدي واهنئي، فأنتِ تعلمين أن سعادتي وهنائي يكمنان في سعادتك وهناكِ!!

حبيبتي. رغم البعد وطول الغياب وطول المسافات بيننا لن أتكاسل يوماً في تقديم العزاء والمواساة، فأرجوا أن تتقبلين عزائي وتشفع لي

عندك غربتي، إنا لله وإنا إليه راجعون

والبقاء لله وحده سبحانه فقد كتب البقاء لنفسه العلية وكتب الفناء لباقي خلقه، فيا رب العالمين يا رب الأرباب يا مجيب كل دعاء، اغفر له وارحمه وتغمده بواسع رحمتك فإن رحمتك سبقت غضبك. اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة.

اللهم لا تجعله حفرة من حفر النيران، اللهم أورده حوض نبينا الكريم وأرزقه شربة هنيئة مريئة لا يظمأ بعدها أبداً

اللهم نور قبره بالقرآن والصيام فإننا نشهد أنه كان صوام قوام، اللهم أغفر له وارحمه يا أرحم الراحمين، اللهم وسع مدخله وآمن روعته ولقنه حجته، اللهم أحشره في زمرة المساكين وأجعله في صحبة الأنبياء والمرسلين والصديقين. اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثورة الحمام

البداية منذ أن كانت أقدامي نحيلة. كنت ارنوا بعيني، كنت اعبر شطآن كثيرة. انموا وبركان الغضب بداخلي يثور ويفور، وذات يوم. هربت من أعماق ذاتي، وليت مدبرا غير مقبلاً، اجري. أهرول حتى امتلك التعب أقدامي. جلست في البيداء تاركاً أعضائي فوق الرمال، فبدأت خيالاتي تجول في كل أنحاء الفضاء البعيد ولكــن؟ سرعان ما جاء من يقطع خلوتي ويقتحم وحدتي، آه. ما هذا؟ فهمهمت قائلاً:

من أنت أيها الغريب؟ لماذا جئت لتزيد عذابي؟ لماذا تشعل النار نار؟ فبدأ يظهر رويداً رويدا، آه. انه الطائر الذي كنا نرسمه من ذي قبل رمزاً للسلام، جاء وكأنه يعلن حربا شنعاء..

أسقط من بين جناحيه خرابا ودمار، ألقى من بين منقاره غص الزيتون، أمتلك الخوف قلبي. جعله يرتجف بين ضلوعي

جريت. هرولت. ناديت. صرخت قائلاً:

أيها الطائر الوديع. لماذا تفعل هذا؟ وأي طائر نأخذه بديل!؟ فأجاب الطائر وقد طار

يا صديقي. لا بديل. لا رفيق اليوم بعدي، لا بديل اليوم عني

لا بديل عن القتال، كيف نحيا والمنازل حطمت؟ كيف نحيا تحت ظلال الموت هذا؟ يا ملوك الضعف قوموا من الثبات

من سيقبل الانكسار؟ من لديه الاختيار؟ يا رفاق الدرب يا حلم منذ الأزل يراودني، رغم عني أشعلت من أحزاني نار

لا مكان للحمام بعد أن ضاع الأمان..

سوف أرحل. سوف أرحل ولن أعود إلا إن عاد السلام!

فتلعثمت شفاهي وعجزت حقاً كلماتي، بماذا أجيب. وكيف أجيب وأنا أرى العروبة كلها ضعفاء، أراهم وقد ضاعت الوحدة من بينهم وغابت الغيرة منهم!؟

قطع الطائر صمتي بالهتاف قائلاً:

هيا نودع الكلام. هيا نبحث عن وسيلة. هيا نفعل أي حيلة. هل انتهى عصر الرجال!؟

ثم نادى بالصياح. فجاءت تلبي كل أسراب الطيور وكأنهم طيراً أبابيل، هتفوا قالوا. يا جنود اليوم ثوروا مثلما فعل الحمام، يا حكام كل البلاد. يا جنود كل المدائن. وحدوا كل الصفوف حتى نقضي على اليهود، احشدوا كل الجيوش حتى نقضي على الطاعون الذي يقتل من يشاء وقتما يشاء

هكذا قول الحمام. وأشار برأسه للأمام، ثم صرخ قائلا:

دون وحدة القدس يوما لن يعود. ولكـن؟

هل نحن في مثل قوة الحمام والطيور التي ترفض العبودية لبني صهيون؟ هل نحن نمتلك الجراءة التي يمتلكها الطائر الذي لا يخاف إلا خالقه ورازقه الواحد القهار؟ ترى إلى متى سنظل أضعف من الطائر الذي يدعونا إلى الوحدة العربية والإسلامية على السواء، فها أنا ادعوا الله من كل قلبي أن يجمع شملنا ويكون قد آن الأوان كي نودع الصمت والضعف والخوف ونعلن الوحدة والقوة بالحب والأمل الجديد.

أشقاء.. ولكـــــن؟

أمسكت قلمي وأحضرت إحدى دفاتري، نظرت إلى الأوراق البيضاء بعيني الدامعتين أسألها قائلاً:

ترى ماذا أكتب بعد أن جفت من أقلامي الأحبار، وتاهت من شفتاي الكلمات وتبعثرت بداخلي كل المعاني وماتت كل ألأحاسيس والمشاعر الجميلة ولم يعد فينا قيماً راسخة وحباً تجرعناه من حنايا صدراً لم يكل يوماً ولم يعرف للكراهية سبيل، فقد بدأت قصتي بعد أن مات رجلاً قد تزوج من إحدى النساء الجميلات وأنجبا ثلاثة أطفال في إحدى ربوع بلدة عربية، مات تاركاً لها المسؤولية الكبيرة والأحمال الثقيلة كان أكبر الأبناء لا يتجاوز عمره الخمس سنوات. ومن بعده ربما السنتان أو يزيد قليلاً.

أما الثالث فكان ستة شهور، مات الزوج شاباً بعد أن أصيب بمرض خطير. مات تاركاً زوجته في ريعان الشباب والجمال، تركها لتجد نفسها قد هرمت قبل أن تعيش مثلما تعيش كل النساء، وهنا بدأت رحلة الكفاح. والصراع. والألم الدفين، جاءها رجالاً من كل أصناف البشر يريدون الزواج منها والفوز بها رفيقة، إيماناً بقول النبي صل الله عليه وسلم (تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها. وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك، فهي هدية من رب الأرباب والعباد

تحفظ كتاب الله. تسير على نهج خير الأنام وتقتدي بأمهات المؤمنين وخير النساء، رفضت كل من تقدموا إليها معلنة راية حب الأبناء قائلة: ومن غير الحبيب يكون للفؤاد قريب؟ ومن غيرك يا حبيبي في الجنان يكون رفيق، بدأت تعمل بكل جهداً وكد، ترىَ أبناءها يوماً بعد يوم يكبرون أمام عينيها الذابلتان رغم الشباب.

مرت الأيام يوماَ تلو آخر التحق الأول بصفوف الجامعة، الأم الغالية يرقص قلبها فرحاً وطرباً لما حققته بجهدها وتجارتها البسيطة فهي لا تأكل قبل أن تمتلئ بطون أبنائها، زرعت فيهم الحب والإخلاص والوفاء.

زرعت فيهم حب بعضهم البعض وحب الناس جميعاً قبل حب النفس والذات، تذكرهم دوماً بكلمات ظلت ترددها على الدوام، ليس لكم غير بعضكم في هذه الحياة، فأنتم ليس لكم عماً ولا خال فحافظوا على بعضكم وإياكم يوماً والفرقة والخلاف، فحفظ الابن الأوسط تلك الكلمات. مرت الأيام

تخرج الأول من كلية الحقوق والثاني من الآداب والثالث من التجارة، وذات يوم مرضت الأم مرضاً شديد فجمعت أبناءها الثلاثة، أمسكت بأيديهم وقالت لهم:

عاهدوني على أنكم لن تختلفوا مع أنفسكم يوماً، فانهمرت على الخدود العبرات وجفت الألسنة من الكلمات، نظرت إليهم الأم

والابتسامة تملأ وجهها الشاحب قائلة:

الآن اتركوني فقد حان موعدي مع لقاء الأحبة والأخيار، وبعد العشاء دخل على الأم كبيرهم ليطمئن عليها ويطمأن الأولاد، فوجد ابتسامتها الواسعة تنير وجهها المنير كالقمر البازغ في كبد السماء، جلس بجانبها يداعب وجنتيها ويحكي لها ما مر وفات ولكنها لا تجيب على تلك الحكايات، فهزها هزات رقيقة كقطرات المطر عندما تداعب الرمال في الفلوات، وبعد كثيراً من المحاولات

فطن وأيقن وأصبح يعلم علم اليقين بان العمر قد ولىَ وفـات!

فصرخ صرخات مدويات ثم قال. ماتت الحبيبة الغالية يا أولاد..

فجلسوا جميعاً بجانبها يتلون ما تيسر من القرآن حتى الصباح ودفنت بجوار زوجها بعد أن صلوا عليها الجمعة وسط البكاء النياح، مرت الأيام رغم قسوتها على الأشقاء، كان الابن الأوسط شديد الحب لوالدته التي رحلت عنه بلا مقدمات.

فكان يجلس بجوار قبرها بالساعات والأيام، ظل على هذا الحال سنوناً وأيام، ظن أهل البلدة أنه قد أصابه مساً من الجان

وكيف لا وهي كانت الأم والحبيبة سواء! كيف لا وهي كانت له الأخت والصديقة الحسناء! وذات يوم، جلس بجانبه شقيقه الأكبر ليخبره بأنه قد آن الأوان، ويريد أن يتم نصف الدين بالزواج، فابتسم وهو يهمهم قائلا:

لو أن الحبيبة موجودة بيننا لكانت فرحتها تملأ كل الأنحاء والأرجاء، مرت الأيام وتزوج كبيرهم، وبعد عدة شهوراً وأيام.

أنجب لهم أول الأبناء ليصبح أبا عبد الله، مرت عدت سنوات وتزوجا هو وشقيقة الأصغر في يوماً وآن، أنجبا من الذكور والإناث

مرت الأيام وأصبحوا جيران وبدء الشيب يلعب في شعر الرؤوس، وذات صباح! استيقظ أبا الوليد على صوت ضجيج وصياح

فخرج ينظر ما سبب تلك الضجة، فوجد شقيقة الأكبر يفصل بينهم بجدار. فسأله برقة ونعومة قائلاً:

يا أخي لماذا تتعالىَ بيننا الأسوار؟ يجهل أنه قد دخل بينهم ذات يوم شيطان، ثم عاد إلى بيته بعد أن ملأته الظلمة وهرب منه الضياء، جلس حتى تناول فنجان من الشاي ثم عاد إلى أخيه لعله يعود ويهدم تلك الأسوار، فنهره أبا عبد الله ورفع يده وصفعة صفعة سمع دويها كل من حضر الحوار، فنظر إليه والدموع تسيل كأنها الأمطار.

وقبل أن يلفظ كلمة وجد ابنه قد جاء والشر بعينيه مؤجج بالنار، ممسك بيده قطعة حديد، رفعها ليهوي بها على رأس من أهان وسط الجمع أباه، التقط أبيه من يده الحديد وأمسك به من تلابيب ثيابه وهو يقول، ماذا تفعل يا ابن..

أتقتل عمك وأباك!؟ هل على هذا علمك أبيك ورباك؟ إياك.

إياك أن تكرر مثل هذه الفعلة الشنعاء، وبدء يسقط بين يدي ابنه فهرول إليه أخاه حمله بين يداه وهو يصرخ على شقيقه الأصغر بأصوات هوجاء، يا أبا عبد الرحمن، فهرول إليهم وهو لا يعلم ماذا حدث وأي شيء فاته دون أن يراه، فقال كبيرهم أحضر لنا الطبيب لينقذ أخانا الحبيب.

فأسرع إلى السيارة وهو يجهل أنه لم يحضر مفتاح القيادة. فصرخ على زوجته كالمذبوح، اقذفي لي ذاك المفتاح اللعين، وقبل أن تقذفه ويصل يداه، سمع الصراخ بأُذنيه، فقد مات أبا الوليد.

وفي وسط الصراخ والعويل جاءت إليهم خالتهم الوحيدة، فقد كان عندها منذ أيام قليله

دخلت على أبا الوليد، تهزه وتسأله ماذا أصابك يا بن الحبيبة

فقد دعوتني لأقضي معك أياماً زهيدة، جئت وأنا أجهل أنني سأرسلك إلى مثواك قبل الأخيرة، ثم نظرة إلى الحفيد وبدمع العيون سألته كيف مات أباه، فقال لها يا جدتي الحبيبة..

سلي عمي وأبي أبا عبد الله فهو وحده من يعلم كيف مات أخاه

ذئبه بثوب البشر

البداية كانت منذ أن التقط عيناي بعينيها وبدأ قلبي ينبض ويخفق إليها، لحظات سريعة مرت، وبعدها لم أراها. لم أجدها أمامي، بحثت عنها في كل مكان أحلق بعيني في الأفق البعيد، ولكنني لم أجدها وكأنها طيف جميل ذاب بين نسمات الهواء.

رجعت إلى المنزل أبحث عنها في أعماق ذاتي، ولكنني يئست سريعاً، فأصبحت أحلم وأحلم، أحلم أن أراها مره أخرى ولو بضع ثواني، ولكن؟

كان النعاس أقوى مني فغلبني وأنا جالس على المقعد، لم أشعر بنفسي حتى الصباح فعندما استيقظت من نومي، أيقنت أنها حلماً ويجب أن أنساه ولكن؟

كيف انساه وقد بت أتجرعها كالدواء؟ أصبحت كالمجنون أسأل وأسأل ولم يجيب أحداً سؤالي، مرت الأيام والحلم يكبر وينمو بداخلي، وذات يوم وجدتها أمامي، بدأت أغمض عيناي وأفتحها وكأنني ما زلت في أضغاث الأحلام، فابتسمت لي حتى بان ثغرها، فاقتربت منها مسرعاً واحتضنت يدها بين راحتاي، وكأنني أخشى أن تفر مني، سالتها من تكون فراوغت..

فألححت عليها بسؤالي حتى أجابتني عما أريد، وبعد أن فرغ

الحديث طلبت مني أن ادعها ترحل فأبيت أن أتركها، وبعد عناد كثير امتثلت إليها دون إرادتي، ولكنني كنت أجهل أن كل هذه البراءة والرقة والدلال ستار يختبئ خلفه قسوة وجحود، الأيام تمر والحب يترعرع بين ضلوعي، وفجاه جاءها من يريدون الزواج منها فأسرعت بجهلي إلى والدها وأنا أتخيل أنني أستطيع اقتناصها من بين أنياب السباع.

ذهبت ولا اعلم أن كل ما تفعله معي مجرد دعابة سخيفة، اتجهت إلى المنزل وصعدت سلمه ودقة يداي الجرس، فتحت لي الباب وأخذتني إلى حجرة الضيوف أدخلتني فيها وتركتني وحيداً الملم كلماتي المبعثرة بداخلي، وفجأة!

دخل والدها سألني بحدة عما أريد، أخبرته أنني أريد خطبة ابنته، فتركني وحيداً مره أخرى اتجه إليها يسألها ويعود بالجواب، أصبحت وحدي بالحجرة، بدأت عيناي تجول في كل أتجاه، أنتظره يعود لي بالجواب، طال إليه انتظاري، وفجاه!

دخل وبيده سكيناً لم أرى مثله من قبل، وقفت والخوف يمتلكني ويحتويني، أخذت أتراجع للخلف ويقترب هو مني، أتراجع وأتراجع حتى التصق ظهري بحائط الحجرة فأيقنت وقتها أنني لن أستطيع الفرار منه، فسلمت لله أمري، اقترب مني وتجهم وجهه، بدأت أتوسل إليه ألا يقتلني فلم ينصت لي. طعنني طعنة مميته، ثم سحب السكين من صدري فبرقش الدم ثوبي، وقبل أن الفظ

أنفاسي الأخيرة أخبرني بأنها لا تريد الاقتران بي، فصرخت بصوت كالبركان، تركت المكان كالمجنون أهرول إلى الخلاء أسأل نفسي ألف سؤال وسؤال؟ ولكنني لم أجد يوماً جواب يشفيني

واليوم لملمت جراحي ولا أملك إلا أن أقول هنيئاً لكِ سيدتي بما حققته من بطولات ونصر، فأنتِ وحدك من استطاعت هزيمتي، نعم أنتِ من استطاعت قتلي بأظافرك وأنيابك الشرسة، فأنتِ حقاً ذئبة بثوب البشر

جزاء الصبر

ذات يوم

جلس سمير البالغ من العمر ثمانية أعوام، جلس ينظر إلى السماء الصافية، يتأمل الشمس ودفئها، يتأملها في صمت مطبق.

وإذا بطفل يمشي بجوار أمه ممسكة بيده، فإذا بعبرة تسيل على خده الرقيق، تذكر أمه التي رحلت عنه منذ نعومة أظافره، يحاول أن يتذكر ملامح وجهها الجميل.

وبعد وقت قصير ذهب إلى ظل شجرة بالقرب من مجلسه، واستسلم للنوم عميق فإذا بها تقترب منه تمسح بيدها الناعمة بقايا الدموع من عينيه، تداعب برفق خده الرقيق، نظر إليها وابتسم قائلاً: أمي، لقد اشتقت لحنانك وحضنك الدافئ

اشتقت لبسمتك الرقيقة فأين أنتِ يا قرة العين ونبض الفؤاد

فإذا بها تشر له بيدها قائلة:

بني هنا يكون مجلسي ومأواي

فاصبر حبيبي واجتهد حتى نلتقي من جديد، وهنا استيقظ سمير من نومه مبتسماً، وهو يهمهم قائلا:

سوف اصبر يا أمي، وانطلق مسرعاً إلى البيت، وكلما ذاد حنينه إلى أمه صبر ودعا لها بالرحمة والمغفرة، وجعل من حزنه صبراً يقويه ويعينه على رحلته في الحياة، ومرت الأيام وتوالت الأعوام وأصبح سمير طبيب من أعظم أطباء القلب، فقد ماتت أمه بمرض في قلبها، فجعل بعض عملياته صدقة جارية لروح أمه الحبيبة، وبدأ يجري بعض الجراحات مجاناً براً منه لأمه الراحلة فهكذا يجزي الله الصابرين بصبرهم.

نبضات من قلب عاشق

(١)

حبيبتي

عندما تأتين إلى البحر لا ترحلي سريعا

اقتربي من البحر انظري إلى مياهه وشطآنه

انطري إلى البشر الذين جاؤوا ليغسلوا عن أجسامهم

هموم الزمن وأحزان الحياة

انظري إلى الصخرة الرمادية التي شهدت ميلاد حبنا.. نعم حبنا الخالد كالأهرام والشمس

حبنا الخالد كالنجوم والقمر على مر الأزمان والعصور.

آه. كم أشتهي الحديث إليكِ. كم أشتاق أن أهيم في بحور عينيكِ، حبيبتي. نعم أنتِ حبيبتي

إن جئتِ يوماً إلى هذا الشاطئ فذكريني

اذكريني حين الغروب أو حين الشروق

اذكريني كما كنت لكِ فيما مضىَ

اذكريني أباً وأخاً وحبيب

فأنا ما زلت أذكركِ دوماً

أماً وأختاً وحبيبة

أذكركِ دوما ملاك في دنيا البشر

أحبك دوماً

(٢)

حبيبتي.. اعلمي يقيناً بأن مازال في قلبي نبضات لم تسمعيها من قبل. فمنذ خمسة عشر عاماً لم تخلوا أحلامي من طيفك الرقيق. كنت عندما أستيقظ من نومي والابتسامة تملأ وجهي تنظر أمي إليَ مبتسمة وترفع يديها بالدعاء قائلة:

ربي أعطي ولدي كل ما يتمناه، اجمع بينهما في خير، آه عجباً لكِ يا أمي، كأنكِ كنتِ تعلمين أنني أراها كل يوم في منامي، وعندما أصبح بوجه عابث تنظر لي بتلك الابتسامة ثم تقول:

اذهب لرؤيتها إن كان طيفها خاصم منامك

آه حبيبتي. منذ ذلك اليوم الذي فتحت عيناي ورأيتكِ واقفة أمامي مبتسمة وعينيكِ اللامعتان تتأملينني وتحتويني علمت أنكِ ستمتلكين قلبي بل ستمتلكين حياتي كلها ذات يوم،

شعرت بأن في قلبي قشعريرة لم أشعر بها من قبل، فوهبتكِ قلبي وعقلي وروحي، بل وهبتكِ كل كياني

آه. إني أحبك يا من علمني حبك كيف العشق بل كيف الوفاء والاشتياق:

(٣)

تقولين لم أعد كما كنت في الماضي

فأقول بل ستظلين كما أنتِ الفتاة التي سحرة قلبي وعقلي منذ خمسة عشر عاماً.. تقولين لم تعد تعرفني

فأقول كيف لم أعد أعرفك وأنتِ محفورة في قلب قلبي

تقولين لقد تغيرت كثيراً

فأقول مهما تغيرتِ فأنتِ الفتاة التي أحببتها وأحبها وسأظل إلى أبد الآبدين أحبها، فتقولين إلى هذا الحد ما زلت تهواني

تعشقني وتأبى يوماً أن تنساني

يا لي من حمقاء كيف لي أن أعذبك يوماً وأنت من حبه منذ الصغر ملأ كياني واحتواني، فأقول أحبك دوماً وسأظل أحبك إلى أن يتوفاني ربي:

فتقولين لا بل أحبك أنا وأسمك دوماً على شفاهي، في قلب القلب ويردده لساني

(٤)

عجبت ممن يقولون لي بأنني سوف أنساك.! ويمر العمر ولم أعود يوما أهواك، فنظرت إليهم مبتسمة، ثم قولت لهم ويحكم.! هل ينسى الإنسان روحه؟

هل يترك قلبه يتألم بجروحه!

كيف أنساه وقلبه في جسدي ينبض ويدق!؟

كيف أنساه وقلبي علمه الشوق. علمه العشق!

سأنساه يوما:

لابد أنني سأنساه!؟ وفي هذا اليوم سيكون في القبر مكاني

حبيبي. اعلم أنني أحبك ما دام في القلب حياة

أحبك لا بل أعشق روحك وهواك.

(٥)

حبيبتي.. هل تذكرين اللقاء الأخير بيننا؟

هل تذكرين الكلمات التي قلتها لي عندما أخبرتك أنني قد تخليت عن الكتابة والشعر والأدب؟

فأنا ما زلت أذكرها..

أحفظها عن ظهر قلب، فقد نظرتي لي بعينين دامعتين ووجنتين حمراوين، وقلتي لي بصوت خافت: لماذا؟

أو ليس هذا الحلم الذي حلمناه سويا؟

ألم تقل لي ذات يوم أنك تستطيع التخلي عن المأكل والمشرب ولكن؟ لا تستطيع التخلي عن الكتابة! ألم تقل لي يوما بأنني سأصبح الزوجة الثانية وليست الأولى. لأنك تزوجت الكتابة قبلي، ألم تقل لي بان كل كلمة تكتبها وكل حرف تهمس به لي وحدي!! أجبني يا من أحببته أكثر من حياتي. هل مللت الكتابة لي! أم أنك لم تعد تحب الهمسات التي تهمس بها لي وحدي! حبيبي. إن كنت قد مللتها فأنا ما زلت أعشقها، أتنفس فيها أريج هواك، أسبح فيها لتغسل عني هموم الزمن والآم الحاضر الكئيب، حبيبي.

يا من ملكت قلبي وكل كياني. اعلم أن كل كلمة تكتبها أو كل همسة تهمس بها أحيا بذكراها. أهيم معها في بحور الذكريات! آه. أحبك يا من علمني حبك كيف أكون شامخة كالأهرام

(٦)

أه حبيبتي. هل ما زلتِ تذكرين ذلك الشاطئ برماله وصخوره الشاهدة على أحلام الكثير من البشر، الشاطئ الذي شهد أسعد لحظات الحياة، الشاطئ الذي احتواك بمياهه الصافية الزرقاء.

المياه التي كنت أغار منها. أصارعها غيرة عليكِ، فهما يومان قضيناهما بصحبة الأهل والأقارب ولكنني كنت أراكِ ولا أرى أحداً سواكِ.. كنت أحتضنك بين شطآن عيني. أسبح بكِ إلى الأفق البعيد، أخبئكِ عن عيون كل الناظرين، كنت أشتاق إليكِ وأنتِ بجانبي، وفي لحظة عابرة شعرت أن هذه اللحظات هي أسعد لحظات حياتي، علمت أنني سأستمد منها الأمل وسوف أحيا بذكراها..

آه. لا أدري لماذا أكتب هذه الكلمات؟ فكل ما أعرفه هو أنني أحبك وأشتاق إليكِ، أحبك نجمة قد رسمتها بجوار القمر في كبد السماء، أحبك نسمة صيف ندية تداعب غصون الشجر وأزهار الحدائق. فيا حبيبتي لا تدمعي يوماً على فراقي، فدموعك عندي أغلى من الذهب وأسمى من الماس.

أحبك.

(٧)

في ليلة ممطرة

دق هاتفي معلناً أسمها الذي كتبته بقطرات دمائي

آه.. يا ليتها تعلم ما هو أسمها على هاتفي!؟

إنه كان ومازال (أنا حياتك) نعم هذا أسمك أنتِ في هاتفي إلى الآن رغم الفراق.. فأنتِ حقاً حياتي بل كل كياني، فانتظرت حتى شبعت أذناي وعيناي من سماع أسمها والنظر إليه، وبعدها عاودت الاتصال وأنا لا أدري لما هذا الاتصال في مثل هذه الليلة المظلمة الممطرة..

فعندما سمعت صوتها سألتها في عجل قائلاً:

هل أنتِ بخير!؟

فل تجيبي يا من ملكتي حياتي..

فسمعت ابتسامتها التي تشبه نسمة صيف ندية وتنهداتها التي أشعلت نار الوجد بداخلي ثم قالت: نعم أنا بخير يا حب عمري وشريان حياتي. ولكن؟

آه.. ولكن ماذا؟

تكلمي فأنا في شوق لسماع صوتك الذي تعشقه أذناي، فابتسمت ثم قالت:

لقد شعرت بالبرد والوحدة وأردت أن تحتويني بكلماتك كي أشعر بالدفء والأُنس بصوتك فأنا أحبك وأردت أن يكون صوتك آخر ما أسمعه في هذه الليلة.

أحبك وأردت أن تسكن أحلامي.

حبيبي بل كل كياني ووتيني، نم واجعلني أُنثى أحلامك كما جعلتك رجل أحلامي.

أحبك

تم بحمد الله

فهرس

أريج الحياة..... ٦
إني أحبك ١٤
الاعتراف الأخير ١٩
ليلتي الأخيرة ٢٥
هي الحياة ٣١
لا تتعجلي الرحيل ٣٨
التفاته عابرة..... ٥٢
لا تقتلي الحب..... ٦١
الفرعون الذي سرق قلبي..... ٦٩
رسالة إلى حبيبتي ٨٨
نبض الكلمات..... ٩١
ثلاثة كلمات ١٠٧
ثورة الحمام..... ١١٣
أشقاء.. ولكـــــن؟..... ١١٦
ذئبه بثوب البشر ١٢١
جزاء الصبر..... ١٢٤
نبضات من قلب عاشق..... ١٢٦

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

إصدارات الدار

قلم عطر	خواطر	مجموعة مؤلفين
وعادت ريما	رواية	راضية موحوس
مثل ليلة حب	خواطر	أسماء إبراهيم
وكأني أحبك	خواطر	زهرة العدوي
عالم قراطيس قراطيس	أدب ساخر	هاني النجار
أوتار	خواطر	مجموعة مؤلفين
دماء على ثوب أبيض	رواية	نسمة أبو النصر
كوني أماً عظيمة	فكر	حاتم سلامة
أموات فوق الأرض	رواية	محمد جمال
بقلم رصاص	خواطر	أمنه محمد قناش
حريق على الجسر	رواية	هاني النجار
القدرات السحرية	تنمية ذاتية	بسام سامي
العالم لن ينتظرك	فكر	أحمد شاكر
عندما ينتحب الياسمين	خواطر	هنادي العبودي
مرايا	خواطر	مجموعة مؤلفين
البوهيمي	مجموعة قصصية	أحمد رشدي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل	فكر	عبد الجواد السيوطي
التشجيع يصنع المعجزات	فكر	حاتم سلامة
خريف مريم	رواية	صفا عبد الصبور
حلم صريع	خواطر	محمد باهي
مُتيم	خواطر	غادة مايز
يوميات رجل محسود	أدب ساخر	على عمر خالد
هدوء ما قبل الانفجار	خواطر	زهرة العدوي
الموؤودة	رواية	نادية بن الشيخ
أنين المساجد	فكر	نادية طاهر

صوت السماء	شعر	محمد ربيع العاني
طبق كشري	أدب ساخر	عبد الفتاح عطا
وأحببتك بعين قلبي	رواية	صفا غنيم
ما لا تعرفه عن الهجرة	فكر	عبد الجواد السيوطي
الأيام الأخيرة	رواية	مصطفى عبد العظيم
موانئ الرغبة	شعر	مروج حسين
١٠٣	رواية	محمد جابر
زمن الحنين	شعر عامية	رحاب عصمت الزيلعي
أوراق على دفتر الحنين	مجموعة قصصية	حسام الدين ريشو
أحببتُ شبحاً	مجموعة قصصية	حمادة هيكل
حكايات من التاريخ	تاريخ	طاهر عبد الرحمن
كلمات ربي (ج١)	فكر	تامر عوض صالح
وشم على كتف الحياة	شعر	محمد محسن
كيتو ياكيفو	رواية	محمد الحريري
يتيمة بأبوين	رواية	بتول عبد القادر
مائة عام على كوكب الأرض	رواية	محمد صبحي
نبوءة عاشق	رواية	رانيه عيسى
رصيف نمرة ٢	رواية	نجوى إبراهيم
قمر الدم	رواية	هشام الحمراوي
حنين الحنين	خواطر	نورا صبحي
نساء وقيود	رواية	أسماء إبراهيم
الذين أخفوا الشمس	فكر	هاني النجار
الآهات المكبوتة	مجموعة قصصية	رانيه عيسى
عن الذي استدان ليشتري الشقاء	رواية	هبة عبد المنعم
كتبتُ أحبك	شعر	محمود أبو زيد
فلاكا	مجموعة قصصية	مجموعة مؤلفين
الآدم وهي	خواطر	منى العطار

أحلام فجر	رواية	سعيد الشودفي
مفاهيم إدارية لثالث ألفية	علوم	رحاب العيسوي
عاشق الضي	شعر عامية	إيهاب سالم
أنامل قصصية	مجموعة قصصية	مجموعة مؤلفين
الضال	رواية	عبد الفتاح عطا الله
ماهر وسماهر وبئر النسيان	طرائف وحِكم	ماهر عطوه
مملكة روح	رواية	عبير عيد سليمان
خليج بلا وافدين	رواية قصيرة	سيد مصطفى علي
في ليلة شتا	شعر عامية	وسام عبده
الشيطانة وعصا الجحيم	رواية	أحمد أبو النجا
أنين وردة	رواية قصيرة	داليا الشنتناوي
لا تتعجلي الرحيل	خواطر	سعيد الشودفي
بدون	مجموعة قصصية	محمد الشحات
من الأكاديمية إلى الفيلا	مقالات	وليد العجمي
تفاعل متسلسل	رواية	حسام قنديل
بردية رع (ذهاب وعودة)	رواية	أسامة نصر الدين
كاتب ونساء وعبث	رواية	عبد السلام المساتي
جيهينا	رواية	أميرة طارق
مذكرات خادمة من مونار	رواية	جابر خمدن
بعيداً عن العالم	رواية	تهاني هدهد
قمر الدم (العودة)	رواية	هشام الحمراوي
سئمت الغربة	فكر	نسيبة الرحيلي

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

2017/26652